

مجلة
روايات أحلام



البنجمة والاصيان



مجلة روايات أحلام

النجمة والصيد

«أريد كل شيء... أريدك أنت... إذا كان ما أرى في أعماقك
ناراً لا سراياً... أريد أن أسير إليها لأحترق...»
حرس ربا قلبها مدة طويلة، وجبت مشاعرها وذكريات
ماضيها التعس داخل نفق معتم رمادي، كان يهاجمها في كوابيس لا
تجد فيها منفذاً إلى النور... ولكن إصرار باول مايسون على
استكشاف أعماقها أوصلها الى شفير الهاوية...
باول مايسون رجل لن يردعه شيء عن استنزاف كل ما فيها في
سبيل الحصول على ما يريد... ولو لم يبق منها إلا الرماد...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦٠٠ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧٠٠ ر.	البحرين ٦٠٠ ف.	السعودية

١ - نفق لا ينتهي

استند رينيه إلى الجدار قرب ربا يراقبها ويداه في جيبي سرواله واهتمامه منصب عليها.

- هل أنت على ما يرام؟

لم ترد ربا بل هزت رأسها مطأطئة الرأس، لا بد أن رينيه قلق فهو يقلق دائماً قبل أن تبدأ لأنه يعرف نعم المعرفة ما تشعر به. كانت راحتا يديها تنضحان عرقاً وفمها جافاً والسقم يتحرك في أعماقها.

رأت هذا في منامها ليلة أمس، كان عقلها يهيتها لهذه اللحظة ولكن ما من شيء قد يهيتها لما تشعر به حقاً ووقفت في الممر، تصفي إلى الهدير البعيد تنتظر التقديم...

كانت فعلاً تحس بالغثيان، فجفونها متقلصة وعضلاتها جميعها مشدودة... والخوف من المسرح إحساس لا ينفك يسيطر عليها كلما ارتقت الخشبة ولكن الليلة كانت أسوأ مما عرفت من قبل.

نظر إليها رينيه نظرة مأكرة:

- ألسنت على ما يرام؟

كان وجهها شاحباً حتى الابيضاض فساءلت عن إذا كان سيأتي ذلك اليوم الذي تتخلص فيه من هذا الرعب. كانت عينها الخضراوان متسعيتين والبؤبؤان الأسودان جاحظين وشفتها العليا

مبتلة بقطرات من العرق .

ربت ربنه على وجنتها :

- استرخي . . . سيكون كل شيء على ما يرام .

تلاشى التصفيق قليلاً فسمعا قرعة المذياع فوق رأسيهما . .

ثم بدأت الموسيقى .

- ها قد بدأ دورك .

لكنها لم تتحرك ، فقد تشنج جسدها وسجنه الرعب . بدا لها أن زمناً طويلاً قد مر ولكنها لم تكن سوى لحظات استطاعت بعدها أن ترفع رأسها ، وكان أن تولى أمرها الطيار الآلي القابع في عقلها المتوقف عن العمل .

وخطت الخطوة الأولى متأرجحة فإذا الممر أمامها ممتد إلى

ما لا نهاية .

وكان هذا ما رآته في منامها . . فقد سمعت أصوات آتية من

البعيد وتناهد إليها موجات من الهتاف والتصفيق راحت تتكسر

على شاطئ تفكيرها ، والفراغ في قاعة المسرح الضخمة يسبح

أمامها عند نهاية النفق الذي يردد أصداء الهتافات والتصفيق . مع

كل هذا ، كان لا يزال يتتابها الشعور بأنها في النهاية لن تصل أبداً

ولن تستطيع السير إلى هناك إلى نهاية النفق . . تجمدت في مكانها

دون حراك وانكمش جسدها النحيل على نفسه خوفاً . . وصرخة

ذعر تخرج منكسرة من صدرها .

مع أنها كانت تحس بملاحقة ربنه لخطواتها ، وبنظراته

المركزة دائماً عليها ، إلا أنها تجاهلته ، وركزت تفكيرها على ما

يجب أن تفعله . كانت نظرتها نظرة من لا يجروء على النظر يمناً أو

يسرى ، بل من يستمر في التقدم فقط ، لأن ليس أمامه خيار آخر .

وظلت تسير فاقتربت الأنوار ونعالى الضجيج حتى خرجت مندفعة نحو هدير حناجر المرحبين بها، فترنح جسدها متهادباً برشاقة فوق المسرح.

- مرحباً... جميعاً!

وقفت أمام المذيع، وذراعاها ممدودتان وكأنهما تعانقان الجميع مع العلم أنها لم تكن ترى أي وجه من وجوه ذلك الجمهور الكبير، لكنها تحس بهم يمدون لها أذرعهم مصفقين فكان أن اجتاحتها موجات من المشاعر عادت ولتنعكس منها إلى الجمع: إلى أجبائها المتطلبين المجهولين الذين لن تلتقي بهم أبداً.

وبدأت الأوركسترا تعزف إحدى أشهر أغنياتها، وتجاوب الحضور بفرح حين بدأت ربا بالغناء... كان لصوتها في المقاطع الأولى رجفة خفيفة، ثم تحررت من ذعرها وتحرك النشاط والحيوية كالزئبق في شرايينها... وبدأت تعطي بكل ما أوتيت من قوة وأحست بتجاوبهم وتمتعهم بما تعطي فابتسمت، ورفعت رأسها تحييمهم فبدا نارا ذهبية تلمع تحت الأضواء. كانت الأوركسترا منزوية في الظل لئلا تجذب اهتمام الجمهور عنها. وكان الكورس يتغنى معها أمام صف من الميكروفونات التي رصفت إلى جانب المسرح... كان هذا المكان طوال النهار مفعماً بالنشاط.. فقد عمل النجارون، والكهربائيون ومهندسو الصوت، منذ الصباح الباكر حتى قبيل دخول الجمهور إلى المسرح.

لقد أنجزوا عملهم والآن جاء دورها... ورفع الحب القائم في ما بينها وبين الوجوه المجهولة من روحها المعنوية إلى أن حان

وقت الاستراحة الأولى.

بدا الجمهور من حيث كانت تقف جداراً أسود، كان دوي استحسانهم يرتفع حتى الذروة كلما أنهت أغنية لتبدأ بأخرى وعليها أن تغني لهذا الحشد الكبير من الناس عارضة نفسها أمامه جسدياً تقريباً... كانت بشرتها الناعمة تلمع تحت الأضواء وفستانها الملصق بجسمها كجلد ثانٍ لها يبرز جو الاثارة المحيطة بها.

كان رينيه ينتظر وراء الكواليس عند نزولها عن خشبة المسرح بارقة العينين متوترة الجسم بفعل الاثارة، فلف ذراعه حولها وسار معها حتى غرفة الملابس حيث استبدل ثوبها للوصلة التالية. كانت أندي تنتظرها في غرفة الملابس فنظرت إليها عبر المرأة تبسم.

- تبتدين رهبة!

- أنت تبعين الهدوء إلى القلب!

أصحت ربا بسحاب الستان يرتفع إلى فوق وكانت أصابع أندي رشيقة جداً رغم أصابها بالتهاب في المفاصل وبرشح ما زالت آثاره باقية عليها بعد الشتاء القارس... وكانت ربا تسمع لهاها التقليل.

فابتسمت لها عبر المرأة.

- ما رأيك بما يجري؟

بدا على أندي الرضا الصريح!

- إنهم يأكلونك... والآن لا تبدي بالتحديق في سمائك متى

أصبحت فوق المسرح، وإلا لن تخرجي من هناك قبل انتهاء آخر أغنية لك.

- أينها الشاكبة دائماً!

بعدما نودي باسمها بواسطة المذياع الداخلي قبلت وجتي أندي ثم خرجت.

لقد أمضت أندي معها حتى الآن ستين بنتاً خلالهما علاقة طيبة فلقد اعتادتا على بعضهما. فأندي عملت مساعدة للنجمات طوال حياتها العملية وراقبتهن يأتين ويذهبن، وقد أخذت عهداً على نفسها ألا تتأثر لأي شخص كان. كانت تقوم بعملها ثم تعود إلى منزلها الريفي الصغير حيث زوجها وقطنها السياميتين، تاركة وراءها كل ما يحمله عملها من إثارة وتعب... ولطالما كانت أندي واقعية وبمشابة مرساة وناقوس انذار لربا حين يهددها طعم النجاح بأن يجرفها في تياره.

ولقد أتى رينيه بأندي بعد أن تعرضت ربا لعدة مضايقات من المعجبين عندما حاولوا أن يقتحموا باب بيتها وينسللوا داخل غرفة ملابسها وهكذا التصقت بها طوال النهار كحارس أما في الأسبات فهناك رينيه وزوجته جولي طبعاً وهذا يعني أن ربا لا تبقى وحدها أبداً.

لكن ربا، كانت في بعض الأحيان تثور على هذا... كما كانت تشعر بالحاجة للوحدة... لذلك، كانت عادة تنتكر وضعة نظارة سوداء كبيرة لتخرج وحدها بسيارتها البورش الحمراء التي كانت تنهب المسافات نهياً لأن السرعة كانت تعطيها ذات الأحاسيس والانفعالات التي تشعر بها عندما تكون على خشبة المسرح لتغني.

نظر رينيه إلى ثوبها الأسود بمزيج من القبول واللاقبول:

- على كل حال إنه بالتأكيد سيبدو شاعرياً.

- يجب أن يكون كذلك، لقد كلف ثروة.

- أعجب فأنا من سدد الشيك.

برز جسدها من تحت فستانها اللامع الضيق وهو فستان مؤلف من قطعتين حريريتين عند الصدر ومن جزء آخر طويل ضيق. فقال لها رينيه:

- لا تسرعني وإلا انشق الثوب.

فاستمعت له:

- سبحب الجمهور هذا!

- ربما... ولكن تذكرني كم كلقتك الفستان.

- ملاحظة سخيفة!

تركته ثم عادت إلى المسرح حيث كان المعجبون في الصالة يصيحون مطالبين بها... إنها لم تقدم من قبل حفلة غنائية كهذه... ولعل ما تراه من تشجيع يرسل افرازمات منشطة إلى جسمها.

لم يكن المال والشهرة أو الدعاية ما يهمها، بل هم هؤلاء الناس في الخارج... فلكني تأتي الأغنية مضممة بالعاطفة والقوة على المعنى أن يؤمن بالموسيقى ويحس بها... هي لا تريد أن تنسى أن هذا الحب المزدوج هو ما أوصلها إلى القمة... ولكن لا تريد أن يستحوذ عليها الغرور الداخلي الذي أصاب العديد من الفنانين غيرها... وسيبقى ما يحصل عليه الجمهور هو ما ينبع من داخل الفنان.

إن أكثر ما يهمها، هو قدرتها على تحريك الجمهور، وجذب انتباههم التام الذي يقودهم إليه صوتها الذي يبدق على أوتار مشاعرهم، فبه تؤثر فيهم إلى درجة أن يبكون لبكائها ويفرحوا

لفرحها ولكنها تعلم أنها ستفقد قدرتها إذا ما توقفت.

كان رينيه يلذع كواليس المسرح فلقاً عندما تقدمت إليه والعرق ينضح منها والشحوب بارزاً عليها والرجفة تلفها لثاً. قبل وجنتها ثم قال:

- كنت رائحة يا صغيرتي... كنت رائحة!

عانقته وهي تكاد لا تراه بسبب قطرات العرق التي تتسلل من جبينها إلى عينيها... وكان أن سرى خط رفيع من الكحل من زاوية عينيها فبدت أشبه بمهرج حزين. رمت الروب عنها وهزعت ثابته إلى المسرح تحيي الجمهور الذي يادرها بموجة أخرى من التصفيق، فقبلت يديها ووزعت القبلات إلى الهواء ثم استدارت لتحيي الفرقة الموسيقية والكورس.

حين عادت قال لها رينيه بحزم:

«هذا يكفي».

ثم صحبها إلى غرفتها حيث جلست أمام المرأة تنظر إلى نفسها ضاحكة:

- ألا أبدو بشعة! ليتهم بروني الآن...

دفع رينيه كوب ماء إلى يدها:

- اشربي هذا واصمتي! لقد غنيت بما فيه الكفاية.

فتحت أندي سخاب الفستان الذي ما إن هوى إلى الأرض حتى وضعت على كتفي ربا روب حمام ثم التقطت الفستان بلطف وعلقته. احتست ربا كوب الماء وذهبت لتستحم...

كان رينيه يرافق كل خطواتها حتى أنها التفتت أخيراً وقالت:

«هل ستراقتني إلى الحمام أيضاً...؟»

رد صوت عن الباب:

- قد يفعل ذلك لو أعطيته نصف فرصة.

التفت ربا مبسمة: «مرحباً جولي».

جولي امرأة نحيلة أنيقة.. في عينيها الزرقاوين شيء من السخرية. شعرها موشع بالفضة مسرح بشكل جميل.. إنها وريته منزوجان منذ خمس عشرة سنة وهما على علاقة وطيدة. جولي كثيرة المزاج مع أن بعض الناس ما كانوا يرونها مرحة ولكنها تنظر إلى الأمور خاصة تلك المتعلقة بربيه بمنظار ساخر. إن ربا تعرفها جيداً فقد عاشت معها في منزل واحد شهراً طويلاً بحيث أصبحت تعرف أن جولي تحب زوجها، سخرت منه أم لم تسخر.

قالت جولي لربا:

- لم أسمعك تغنين كما غنيت اليوم.. كان حماسك ملتهباً

حتى ظننت أن الأنوار في المسرح ستفجر.

- شكراً لك.

ودخلت ربا إلى الغرفة الصغيرة المربعة ثم أغفلت الباب وراءها. وراحت تستحم ببطء مبهلة نفسها ما شاءت من وقت فقد شعرت بأن الماء يغسل راتحة العرق الكريهة، كانت تشعر بأنها أقمى تخلع عنها جلدها. حين خرجت من الحمام ينتظر منها الماء، لفنتها أندي بمنشفة بيضاء، أما ربيه فكان يجلس على كرسي ووجهه إلى الحائط وكذلك كان حال جولي التي وقفت قربه مستندة إلى الجدار نفسه، فقالت ربا لها:

- تبدين جميلة جداً.

فتمتمت جولي:

- ومن سيلاحظ هذا؟

رد ربيه:

- أنا سألاحظ.

فابتسمت وقبلته قبلة ملؤها الحنان والمحبة، ثم سألت أندي:

- هل ستأتين إلى الحفلة؟

- لا.. فلدي أمور أفضل أمضي فيها وقتي.

ساعدت ربا في ارتداء ثيابها وهي تقول:

- لو فكرت بتعقل قليلاً لأويت إلى فراشك يا ربا.

- أنت تعلمين بأنه يلزمها ساعات طويلة لكي تعود إلى

الأرض ثانية بعد كل حفلة.

فوافقت ربا على كلام ربيه وأعقت قائلة: أجل أحس

وكأنني بالون بطير ويحلق في الأعلى.

التفت إلى أندي قائلة:

- وأنت هيا.. تعالي إلى حفلتي أيتها العجوز المتجهمة!

- ابتعدي عني..

دفعتها بلطف عنها وقالت:

- اجلسي إلى المرأة لأرى ما أستطيع فعله بوجهك أريد العودة

إلى منزلي لأجل القطط.

قال ربيه مازحاً:

- ليس إلى زوجها، أنلاحظان؟

- زوجي ينام باكراً.. العاشرة عادة.

فضحكت:

- لو كنت أنا زوجك، لفعلت الشيء نفسه.

فصاحت به:

- كفت عن تلويث الجدار بقدميك.

تحت أصابع أندي البارة السريعة، راقبت ريا كيف أخفت
براعة أندي وجهها المتعب الشاحب وأظهرت مكانته وجهاً مقعماً
بالحبوية واللمعان. صاحت:

- إنه السحرا

هزأت أندي من كلامها فهي لا تقع أبداً في فخ التملق وبعد
ذلك شرعت تسرح الشعر الأحمر الذهبي، فجلست ريا صابرة
حتى طلبت منها أن تتحرك.

تحركت أندي نحو الباب.

- حسناً... بهاذهب إذن.

فقال ريا:

- ليس بعد. تناولني معنا شيئاً... للاحتفال بي أندي.

تناولت أندي كأس عصير صبه لها رينيه وتبادل الجميع
التعاني، وبعد ذلك قالت أندي ثانية:

- والآن سأذهب!

فقبلتها ريا!

- شكراً لك أندي... أنت رائعة.

اتجهت أندي نحو الباب قائلة:

- هل أسمح للجميع بالدخول؟

- أجل فليدخلوا.

قالت ريا لرينيه:

- ظننت أنني سأمزق اللسان حقاً حين غنيت أغنية «حيي

الملتعب».

رد عليها:

- وأنا ظننتك ستقعين على وجهك. كيف تمكنت من الرقص

فيه؟ أدهشتني قدرتك على التحرك فيه.

عجَّ الباب بالناس الذين راوحوا يتحدثون ويتسائلون وبدأ
التمثل من جديد، ولكن بطريقة مختلفة. أخذت ريا تتلقى القبل،
بتسم لهذا وتعاتق ذلك رامية النكات والفكاهات ضاحكة.

بعد ساعة ذهب من اختارهم رينيه بعناية إلى ملهى ليلي.

وكانت ريا تتسائل دائماً كيف يفعل هذا، كان يتسم ويرافق
من لا يريد رفقته حتى الباب ملقياً بده على كتفه متحدثاً بود
وصداقة شديدين وظل على هذه الحال حتى ذهب الجميع ولم
يبقى منهم سوى الأصدقاء المخلص، أو من يرى وجوب مرافقتهم.

إن رينيه مدير أعمالها منذ خمس سنوات تقريباً. كان قد
التقاه في ملهى ليلي من ملاهي لوس أنجلوس وكان من جذبه
إلى المكان شلة من المراهقين كانوا يتجمعون عند المدخل،
وصوت الموسيقى... حين دخل الملهى كانت تجلس على
كرسي أمام المقصف مرتدية سروالاً جلدياً أسود وقميصاً حريرياً
أسود. رأتها تلك الليلة في مكان لا يتتمي إليه بين شبان لا يمت
إليهم بصلة، فقد بدا واضحاً أنه أكبر سناً من الأربعين تقريباً.
توجهت ريا يومها لأداء أولى أغنياتها فصدم صوتها الجو
حوله وجعله يقفز مجفلاً.

كانت تغني مع جماعة من الشبان غير المحترفين ولم يكن هم
هؤلاء المال بل الموسيقى التي كانوا متعلقين بها تعلق المدمنين
بالمخدرات، ولطالما سألت نفسها عما حل بهؤلاء الشبان.

وبقي رينيه يومذاك طوال الأمسية، وحين خرجت تقدم إليها
قائلاً:

- لدي عرض لك.

نظرت إليه باشمزاز.

- اغرب عن وجهي!

- ولكنني جاد أيتها الصغيرة.

ثم وضع يده على ذراعها، فنفضتها عنها ولكن ربنه ليس ممن يمكن صرفه بسهولة حين يصمم على شيء.. فلحق بها بصبر.

- لديك موهبة لم أشاهد لها مثيلاً منذ سنة، ولو وضعت نفسك بين يدي..

التفت إليه بحدة وتمتمت من بين أسنانها:

- اسمع يا جدي لا أريد أن أعرف.. لماذا لا تذهب من هنا

تبحث عن امرأة في مثل عمرك؟

ضحك، وأخرج بطاقته:

- هذا عنواني.. ابحثني عني.. أسألي عني ثم تعالي

لمقابلتي.. أنت ضائعة بين رعاة البقر العازفين على الغيتار،

وبالمناسبة زوجتي تشاركني إدارة المكتب، ولو لاحظت أنني أنظر إليك كثيراً، لقطعت عنقي.

لم يكن يمزح وقد لاحظت ربا ذلك عندما غاظرت بزيارته في مكتبه بعد أسبوع والتقت بزوجه جولي.

توقفت السيارة الكبيرة التي يستقلونها أمام الملهى ودخل

الجميع ضاحكين هازجين، راح الناس ينظرون إليهم متهاسين أما

الساقى فأنحنى أمامهم وقادهم إلى طاولتهم وسط تحديق الناس وميلهم نحو ربا لتنهتها على نجاحها.

بعد قليل قال لها ربنه:

- هيا بنا نرقص.

فالتفت إلى جولي:

- هل أستطيع استعارة زوجك؟

- تفضلني على الرحب والسعة.

ضحك ربنه:

- سترقص جميعنا

ردت جولي بحزم:

- ليس أنا.. فأنا لست معك.

قالت ربا وهي تتوق للرقص على أنغام الموسيقى:

- تعالي!

راحت ترقص حول ربنه جدلة، إنها الليلة معجبة بنفسها التي

تشعر بها خفيفة وقال لها ربنه:

- عندما تهبطين، ستكون وقعتك شديدة الصخب!

- هاي، لا تفسد علي احتفالي!

وراح جسدها يتحرك بخفة مع النغم ثم وهي بين الجمع

التقت عيناها بعينين رماديتين كالقوواد شعرت أنهما ينصبان عليها

كالمياه الباردة فنظرت إلى صاحبهما قليلاً، ثم أشاحت نظرها

عنه.. ولكن صورته ارتسمت في عقلها: وجه قاس منجهم وشعر

أسود كثيف وفم جميل التقاطيع مطبق. لوححت جولي لهما من

الطاولة.. وقالت حين عادا إليها:

- وصل الطعام.

جلست ربا على الكرسي منتهدة، إنها ليست جائعة بل أن

مجرد التفكير في الطعام يكاد يدفعها إلى الغثيان. رأت جولي

نظرتها إلى الطعام فقالت:

- كلي!

- لا أستطيع.

- وهل أنا مضطرة لأطعمك بنفسى؟

قال رينيه بسرعة، محذراً:

- قد تفعل هذا!

صاحت جولي من بين أسنانها:

- استرخي... أتزعجين في أن تسببي المرض لنفسك؟

التقط أحدهم شوكتها وأعطاه إياها، فتتهددت:

- لم أنا محاطة بالحاضنات؟

ردت جولي:

- لأن هذا ما أنت بحاجة إليه، يا طفلة!

ولهذا السبب شجعاها للسكن معهما. كانت في سن السابعة

عشرة حين وجدها... ولما عرفت جولي أنها تعيش وحدها في

غرفة ضيقة في منطقة وضيفة في لوس أنجلوس أصابها الذعر.

كانت قبل أن تنتقل للسكن معهما قد عانت من تجارب فظفة

سببها الرجال، فقد جعلها جمالها هدفاً سائغاً وأنزل بها عدم

وجود عائلة لها خطراً حقيقياً وفي الواقع أن الحظ وحده أبقاها

سالمة في السنة التي أمضتها وحيدة في لوس أنجلوس.

رفعت جولي رأسها فشبهت وفغرت فهاها وريا أيضاً دهشت

فرفعت رأسها كذلك.

- مساء الخير.

كان في الصوت العميق رنة خشنة ولكن العينين الرماديتين

كانتا مألوفتين... لقد رأتهما منذ قليل أثناء الرقص. هبَّ رينيه

على قدميه بسرعة، وعلى وجهه انطباع وجدته ريا مريباً. لم

تشاهد قط على وجه رينيه مثل هذه النظرات، كان كشخص ضرب

على معدته... نقلت نظرها عنه فزأت أن جميع من عسى

قد حدا حدوه متعلقة عيونهم بالقادم الجديد.

هذه كانت حال الجميع باستثناء جولي التي ظلت باردة

تبسم:

- مرحباً... أيمكن أن تقدم لك شرباً سيد مايسون؟

- تقدمت إليكم لأهني الأتسة ابقرت.

ابتسم رينيه ابتسامة واسعة ثم جذب كرسيه وقال:

- أئن تنضم إلينا سيد مايسون؟ شاركنا نخب نجمتنا.

تجاهله الرجل الذي التفت إلى ريا، التي أخفضت أهدابها

الاصطناعية السوداء الكثيفة وراحت تراقبه عبرها. يبدو أن جميع

الحضور يعرفونه ولكنها لم تشاهده قط، إنها متأكدة... ولولا

ذلك لتذكرت من هو.

وصل إليها، تناول يدها بهدوء عن الطاولة، فانفضت

متسائلة عما يتوي فعله وما هي إلا لحظة حتى رآته يرفع يدها.

بدون تردد أو اهتمام بمن يراقبه وكان أن لثمت شفتاه يدها.

حدقت ريا إليه وقد سرت رعشة ما إلى أوصالها.

قال بنعومة:

- حضرت حفلتك الليلة... كنت رائعة بشكل لا يوصف.

ظننت أن الجمهور كله سيشتعل بالنار التي كنت تشعلينها.

ابتلعت ريقها بصعوبة، ونسيت جميع من على الطاولة،

وكانت تحس بأنها عالقة في عزلة غريبة معه ولكنها وعدت أن وراء

الوجه القاسي إرادة قوية.

- شكراً لك... أنا مسرورة لثمتك بها.

خرجت الكلمات بطريقة آلية فتدخل رينيه... وكأنه يتوسل:

- اجلس وانضم إلينا سيد مايسون.

- آسف.. معي أصدقاء.

ثم استوى واقفاً ليرتك يد ربا ولكنه ظل ينظر إليها فاشاحت
بوجهها عنه...

قال بصوت عميق، وكأن لا أحد سواها على الطاولة:

«عمت مساء».

وسألت نفسها بدهول لماذا تحس أن في تحيته تلك تهديداً من
نوع ما ولكن لماذا بحق الله تؤلر فيها كلمات هذا الرجل الباردة
إلى هذا الحد وهي الليلة قد تلقت الكثير من تحيات المعجبين
وإطراءاتهم؟

ابتعد الرجل، تلاحقه نظرات جميع المتحلقين على الطاولة
وارتجفت ربا، ولم تستطع إلا أن تلاحظ كيف كان يفسح الناس له
الطريق أثناء مروره بهم في طريقه إلى طاوكته، أو كيف كانوا
ينظرون إليه بفضول وإتسام.

صفر ربنه من بين شفثيه، واستدار إليها:

- واو...! لقد اصطدت سمكة كبيرة يا حبيتي!

نظرت إليه غابسة تنتظر ابضاحاً... فقالت جولي حالمة،
ترفع كأسها إلى الكتفين المبتعدتين:

- هاك مليار دولار تسير أمامك... يا لسحر منظرها وهي

تمشي على ساقين!

- ومن هو؟

كانت ردة فعل الموجودين على الطاولة درامية فقد تعالت
الشهقات وأحست بالعيون تلتمع في وجهها، كما رأت أن جميع
من سمعها في حالة صدمة...

فسألت بين ضحك وحلر: «ماذا قلت».

تمتمت جولي، في بداية الضحك:

- ماذا قالت... إنها تسأل؟

ففر ربنه فمه بشكل ظاهر:

- لا شك أنك تدرحين!

نظرت إليها جولي بإمعان:

- لا... إنها لا تمزح، فلا أشر للضحك على وجهها.

حياتي... ربا... أتساءل أحياناً عن إذا كنت تعيشين معنا على
الكوكب ذاته.

ضحكت ربا:

- إنه مشهور إذن!

أسد ربنه رأسه بين يديه، يهزه من جهة إلى أخرى مولولاً:

- مشهور؟ إنها تسأل... أهو مشهور؟

مالت جولي إليها مبسمة.

- حبيتي... هذا الرجل هو باول مايسون.

- ومن هو باول مايسون؟

صاح ربنه:

- لا أصدق... لا أستطيع أن أصدق أن شخصاً مثلها

موجود.

نظرت إليها جولي مبسمة ابتسامة مأكرة:

- انزلي من عليائك وانضمي إلينا ربا... باول مايسون هو أحد

أغنى رجال العالم.

وقال ربنه:

- إنه يكاد يملك خزينة الدولة... هذا دون ذكر امتلاكه نصف

نظرت إلى طرف الملهي فشاهدت رأسه الأسود قابداً في طاولة منزوية وشاهدت معه فتاة بنية الشعر ترتدي فستاناً أحمر كالنار وزوجين يقفان استعداداً للرقص. فيما كانت تنظر إليهم نظر باول مایسون نحوها والتفت نظراتهما بدون ابتسام. عندها أحست بشرارات كهربائية غريبة تلسعها.

حولت نظرها بعيداً، ورمشت أهدابها اللورديتين. إنه يزعجها. لا يمكن أن تسميه وسيقاً... فتواسم وجهه بعيدة عن أن يكون وسيقاً... ولكن ما من شك في أن بعض النسوة يرينه جاذباً جاذبية صاعقة هذا بالطبع إذا كن ممن يعجبهن ذلك النوع من الرجال القادر على شق طريقه عبر سد فولاذي... ولكن ربا غير معجبة بهذا النوع. إن باول مایسون من يقدر على تنفيذ ما يريد وهذه ميزة تجعلها تتجنب أصحابها.

سمعت جولي تهمس لها:

- راقبه... أظنه معجباً بك، وهذا قد يكون أمراً صعباً... فهو صاحب سمعة قوية في ما يتعلق بالنساء الجميلات... إنه يحب الحصول على الأفضل حتى في النساء. حذار يا عزيزتي لا تريد مشاكل معه.

- لن تواجهنا مشاكل! ربما أعجب بي ولكنه لا يعجبني.

- حبيبي... الرجل مكتنز!

- وإن يكن.

- لا أشير إلى المال فقط بل إلى جاذبيته الفريدة أيضاً.

- لا أجده جذاباً.

- هيا الآن... لا تقولي ذلك عن رجل يملك هذه الجاذبية

- ولكن جاذبيته لا تجذبني.

تمتت جولي بدهول:

- أعتقد أن هذا أفضل لك، فقد يدمرك شخصاً كهذا خاصة وإن عملك قد بدأ يبلغ الذروة.

تدخل ربيته: «عمّ تنهاسان».

ابتسمت له جولي:

- عنك حبيبي.

- آه... إنه موضوعي المفضل.

بعد ساعة تقريباً... لاحظت ربا أن باول مایسون وجماعته يغادرون الملهي، فنظرت إليه مستغربة اختيال جسده الشرس... كانت الساحة مكتظة بالرائضين الهازجين بحيث يصعب على المرء ملاحظة وجود أحد ما ولكن عيوناً نسائية عديدة انصبت على باول مایسون.

حين وصل إلى الباب التفت، ولم تكن ربا تتوقع هذا، فتأخرت كثيراً في إشاحة نظرها عنه. التفت عيونهما فأحست ثانية برودة فعل غريبة، تقلصت معدتها، وكأنها في مصعد يتطلق إلى الأسفل فجأة، دون سابق انذار.

ولكنه لم يشم، بل نظر إليها فقط. ومع ذلك أحست بأن هذه النظرة المختصرة بمثابة وشم يدمغها. ثم ارتد على عقبه مبتعداً فحدقت ربا في المكان الذي كان يشغله وعيناها متسعتان دهشة.



٢ - هل قلتِ وداعاً؟

كان الفجر ينبلع حين عادوا إلى المنزل، وكانت ربا تنام على مقعد السيارة الخلفي ورأسها يتدلى على كتف جولي، بينما جسدها النحيل يثقله الإرهاق.

حين أيقظها رينيه ثاءبت، ثم راحت تجر قدميها إلى منزلها. وعندما وصلت أسرع إلى غرفة نومها تلقي جسمها بدون وعي. كان يمر عليها من حين إلى آخر كابوس مزعج هو كابوس تكرر ويتكرر منذ أمد بعيد. ولم يكن لهذا الحلم بداية بل هو عبارة عن صور رهيبة تلاحقها فتوقظها من منامها صارخة لاهثة، وقد أنهاها ذلك الحلم الليلة فصرخت مذعورة.

اندفعت جولي إلى الغرفة يتبعها رينيه. كان وجههما شاحبين ولكن لا دهشة عليهما.

أشعل رينيه الضوء وأحضر لها كوباً من الماء أما جولي فراحت تهدىء روعها. لقد حدث هذا كثيراً أمامهما لذلك ما عادا يطرحان الأسئلة وكانا يتوقعان حدوث هذا في هذه الليلة بالذات فالكابوس كان يحدث إما قبل عرض مهم أو بعده، لأن ضغط العمل العنفي، يدفعها دائماً نحو ماضي، تفضل أن تنساه.

ارتشفت الماء وجلس رينيه على السرير بربت يديها فهيمت: «آسفة».

- انسي الأمر... إنني بخير الآن؟.

هزت رأسها واستلقت ثانية فبدت صغيرة شاحبة... نارية اللون في السرير المغطى بملاءة بيضاء... أغلقنا الباب بهدوء ثم خرجا فقد أصبح هذا روتينياً بالنسبة لهم جميعاً... الحلم دائماً هو هو. وقد تعلمنا أن يتركاها تنغلب على خوفها دون الحديث عنه. فقد اكتشفنا أن لا شيء مما قد يقولانه ينفع فالكابوس سيعود متى وجدت نفسها معرضة لضغط ما.

حين استيقظت ثانية. وجدت الغرفة تنعم بأشعة الشمس البراقة. كان الفصل ربيعاً فيه السماء زرقاء والهواء نقي. ووجدت جولي تضع فنجان قهوة إلى جانبها وتبتسم:

- تذكري... إن عندك تصويراً في الثالثة. هل نمت مطمئنة في

المرّة الثانية؟

- كم الساعة الآن؟

- الظهر، تقريباً. إنك كالأموات... سنحضر أندي قريباً.

عليك أن تنفسي عنك الكسل قبل حضور الصحفيين.

قاومت ربا فجلست ثم أخذت تحتسي قهوتها ومزاجها كئيب

كمعادتها بعد عمل جديد مرهق.

ليلة أمس أعطت كل ما لديها وها هي الآن تحس بالفراغ.

دخلت أندي إلى الغرفة بعد عشر دقائق... وصاحت بها:

- ما هذا؟ انهضي من الفراش واستحي.

فخرجت ربا من السرير إلى الحمام.

كان المنزل عصرياً. مطلياً باللون الأبيض وهو ذو غرف أربعة

لكل منها حمام خاص والمنزل نفسه يقع على طريق ريفية متعرجة

خارج باسدينا التي لا تبعد أكثر من عشرين كيلو متراً عن لوس

أنجلوس، تحيط به حديقة خلابة تشكل حاجزاً بين المنزل والعالم

الخارجي إضافة إلى أبواب كهربائية تبقي كل المنتظنين بعيداً وسياجاً مرتفعاً يلف الأرض كلها.

وفي المنزل زوجان يتوليان شؤونهما وهما يحافظان عليه محافظة تامة ولكن لا أحد يكاد يشعر بوجودهما فهما يسكنان في شقة صغيرة فوق المرآب الذي يضم خمس سيارات.

تركزت ربا أندي في غرفة النوم ثم دخلت إلى الحمام الضخم الذي تخيم عليه الفخامة كلها... بعد ربع ساعة راقبتها أندي تخرج ووجهها شاحب.

- ستقوم بداي بما وسعهما لتغير حالك هذه.

- تبدين أشبه بمن رماء قطما.

- هذا ما أشعر به فعلاً.

- هل أبدو مريعة؟

- طلبت منك البارحة أن تتوجهي مباشرة إلى المنزل.

- أعرف هذا.

- أنت لا تقبلين التصيحة أبداً... أليس كذلك؟

- كنت سعيدة ليلة أمس.

- وما أنت في أسوأ حالك.

أتاهما صوت رينيه من الباب ساخراً:

- يا شعاع الراحة، أين كنت طوال حياتي؟

ردت أندي لاذعة:

- أختي، منك... انظر إليها جيداً... إنها لا تحتاج إلى

ماكياج، بل إلى حفنة دم في شرايينها. إنها شاحبة كالأشباح هذا

الصباح، ماذا قلت لكم ليلة أمس؟ إنها تدفع بنفسها حتى الإرهاق

وأنت تساعدنا على ذلك، متى كانت آخر عطلة لها؟ لا تذكرني

بالأسبوع الذي قضته في مبامي في الميلاد الماضي. تلك لم تكن عطلة، بل عذاباً، فقد عملت هناك حتى نجمدت أطرافها. إنها بحاجة إلى راحة طويلة.

وضع رينيه الصينية التي يحملها على طاولة الزينة، ونظر إلى عيني ربا في المرأة:

- لماذا لا نكتم أنفاس هذه الشمطاء... إنها تكاد تدفعني إلى الجنون! لا يكفي شكاوى جولي.

ردت عليه أندي:

- زوجتك قديسة، وما تتحمله منك لا يعرف به إلا ال...

سارع يتجه إلى الخارج: «ساخرج».

تناولت ربا عصير البرتقال المثلج من الصينية وارتشفت منه أما أندي فراحت تسرح لها شعرها. لم تكن تتناول الفطور أبداً لأن شهيتها أخف من شهية عصفور وهذا واقع انعكس على جسدها التحيل.

سمعت صوت بوق السيارة في الخارج فقالت:

- ها قد وصلوا.

كانت الساعة التالية عذاباً وإرهاقاً فقد وقفت هنا وهناك داخل المنزل لالتقاط صورها... فكانت صورة في غرفة النوم وأخرى في غرفة الجلوس وأخرى قرب بركة السباحة وفي هذه الصور كان تنظر نظرة إغراء وتحدي. إنه نوع آخر من التمثيل اعتادت عليه... ولكنه يستنفذ من طاقتها الكثير.

حينما غادر الصحفيون غرقت في مقعدها متأوهة: «يكفيني اليوم».

نظر رينيه إليها ثم انتقل إلى زوجته، وتعبير الدهشة في

عينه . إنها تعرف هذه النظرة . ولا بد أنهما يدبران أمراً .
فألت .

- وماذا الآن؟

كانا يتأمران عليها من حين إلى آخر .
فيخفيان عنها أمراً حتى يظمننا إلى أن كشفه لن يؤثر فيها .
كانت صغيرة جداً حين ضمها إلى كنفهما ومز الوقت ولكنها ظلا
بعاملاتها معاملة طفلة .

- انظري يا طفلتي .

عقدت يديها فوق رأسها غيظاً .

- ماذا تطبخان لي الآن؟

بدأت جولي تصفر بصوت منخفض ، وهذا دليل على أنها لا
توافق على ما مخططة رينيه ، الذي قال :

- وصلتني مكالمة هاتفية هذا الصباح .

- نعم؟

- من باول مايسون .

استوت ربا في جلستها مذعورة : «ماذا يريد» .

ردت جولي بصراحة وقحة :

- أنت . . . يريدك أنت .

قاطعها رينيه وهو ينظر بحدة إليها :

- طلب التحدث إليك .

قاطعتهما جولي ثانية :

- لكنك كنت نائمة .

قال رينيه : «فتلقت المخابرة» .

ليلة أمس أحست ربا أن ذلك اللقاء القصير ما هو إلا مقدمة ،

لقاء قصد منه باول مايسون التعارف . . . فلقد ترك في نفسها تأثيراً
يشبه تأثير الخطاب . . . إنه نوع غريب من الخوف أثاره منظر عينيه
الرماديتين لذا لم يدهشها ما سمعه هذا الصباح .

- وماذا بعد؟

فتح رينيه فمه لكن جولي سبقته :

- إنه قادم للعشاء الليلة .

- ماذا؟

- لقد أثرت فيه جداً ليلة أمس يا طفلتي . . . يريد أن يلقاك
وهذا سيساعدنا كثيراً . يمكنه أن يساعدك في بناء مستقبلك خاصة
في أوروبا .

سارعت جولي تقول :

- إنه سمكة قرش . قرش يأكل النساء .

- إنه يملك إحدى أكبر شركات التسجيل في أوروبا . . وهذا
يعني العالم .

- سيأكلها حية . . وبعد ذلك لن تجد منها سوى قطع
مبعثرة! .

- ربا تملك عقلاً راجحاً يجعلها لا تتورط معه إلى هذه
الدرجة .

- يا لك من متفائل!

- ليس عليها إلا أن تظهر اللطف فسلية وتجعله مهتماً بها .

صاحت جولي بحزم :

- إنها لا تحتاج إليه . كان يمكن أن نستفيد من هذه المساعدة
منذ ثلاث سنوات أما الآن فلا ، لقد نالت الشهرة دونما الحاجة إلى
باول مايسون الذي يشكل خطراً عليها .

- وماذا يفترض أن أقول له؟ إنه صاحب نفوذ كبير وهو قادر على خدمتنا كثيراً أما إذا أغضبتنا فقد يؤذينا. وإذا تصرفنا بحكمة سرنا في طريق وسطي. أنا لا أترجح أن نرمي ربا نفسها بين ذراعيها!

ردت جولي ساخرة:

- حسناً.. ما أشد سعادتي بقولك.. لقد بدأت أتساءل عن هذا الأمر.

جلست ربا في كرسياها تصغي إليهما بصبر وأناة فقد اعتادت على أن يناقشا أمورهما وكأنها غير موجودة.

- إنه قادم للعشاء.. وهذا ليس جريمة! كنت مضطراً إلى أن أظهر له أدباً وكياسة أليس كذلك؟

تهدت جولي، ثم ابتسمت:

- مشاكل، لا شيء سوى المشاكل. من المؤسف أنه كان في ذلك النادي ليل أمس فرأها. ما إن وقع بصري عليه حتى استحوذ علي إحساس غريب.

إن الصمت بعد ذلك فلما رفعت ربا رأسها رأتهما ينظران إليها والقلق يطل في عيونهما.

وقال ربنه متوسلاً:

- ليس عليك إلا أن تكوني مؤدبة معه، صدقيني لن تتركك معه على انفراد.

وقالت جولي: «هذا وعد».

- أنتقين بنا؟

هزت رأسها مبتسمة.. فتابع:

- ومايكل قادم أيضاً.

ضحكت جولي:

- مع فتاته الجديدة.. كاترين.. أتصدقين هذا؟

كررت ربا ضاحكة:

- كاترين؟

قالت جولي والخبت في عينيها:

- لا أستطيع الانتظار حتى أراها.

مايكل سنبل هو المسؤول عن تسجيل موسيقى ربا في الحفلات. إنه رجل ذكي في أواخر الأربعين، ذو وجه نحيل حليق دائماً وصاحب ولع غريب بالسيارات والثياب. كان عنقرياً بطريقته الخاصة وكان له اليد الطولى في بناء مستطيل را التي اختار لها الألحان المناسبة فله إذن حساسة لما يناسب صوتها من موسيقى.. ولكن حينما كانت تجادله في لحن كان يتولاه العبوس الذي قد يدوم أسابيع.. غير أن الوحيد الذي يخرج من عبوسه هو ربنه.

حين وصل مايكل في المساء كانت ربا ترتشف كوباً من عصير الطماطم وربنه وجولي يرتشفان عصير البرتقال. ودخل مايكل مبتسماً مع فتاة ترتدي سترة فرو بيضاء قصيرة.. فتاة طويلة القامة، نحيلة، ممسوحة الصدر صفائر شعرها الأسود تحبب بوجه خشبي.. تحدث مايكل، وابتسم ملقياً النكات لكن رفيقته ظلت صامتة. تقدمت مديرة المنزل، السيدة روبرتس تأخذ سترة كاترين فطلبت المرأة بخجل أن تذهب إلى الحمام.. وما أن غادرت المكان حتى صاحت جولي بمايكل:

- ماذا تجد فيها بالله عليك؟

- إنها تغريبي.

ضحكت جولي واضعة يدها على ثغرها:

- أنا عاجزة عن الكلام! ليس عندها كلمة تقولها حتى لنفسها.

- وهذا ما هو مثير فيها. لا أعرف أبدأ في ما تفكر. أحب المرأة التي يكتنفها الغموض.

- هذا ليس غموضاً مابكل. إنه غباء فهي لا تتظاهر بل هي حياء فعلاً.

- وسيكون من دواعي المرح أن أكتشف هذا.

وعادت كاترين إلى الغرفة، ونظرة الفراغ مثبتة على وجهها. بعد دقيقتين دخل باول مايسون، فأحست ريا بتقلص في داخلها، وانكمشت معدتها، كما يحصل حين تكون على وشك الصعود إلى المسرح، وهذا ما لا تفهمه. ولكنها تحس أنه مصدر تهديد لها، أما السبب فلا تعرفه، لأنها لم تشعر قط هذا الشعور تجاه أي رجل.

نظر باول مايسون في الغرفة فالتفت عيونهما ولاحظت أنه يحدق إلى فستانها الأبيض وإلى السترة البيضاء القصيرة فوقه. كان طراز ما ترتديه قديماً ولكنه يناسبها، ويزيد من إبراز بريق شعرها الأحمر، وعينيها الحساستين، ويركز على صغر سنها، وهشاشة وجهها النحيل. . . قال لها بصوته العميق المبحوح:

- مرحباً!

أحست برعشة تدب في أوصالها فردت:

- مرحباً.

كانت كاترين تركز عينيها على باول مايسون منذ دخل ولثا

جلس تسللت لتدمن نفسها بتعومة الأقمع في المقعد المجاور له.

قالت أمام ذهول الجميع: «رايتك في المجلة».

إنها المرة الأولى التي تقول فيها جملة اللبلة، فشبهت جولي، أما باول فحوّل بصره إليها قاتلاً.

- حقاً؟

كان بروده قاطعاً، لكن وجهه كاترين انتعش.

- كنت على بختك في برمودا.

مز رأسه إيجاباً دون أن يرد فأضافت:

- كنت محراً.

وكانما لا يعرف هذا، فتمتمت جولي بلهجة كالعسل:

- إن هذا لمدهل.

وسأله رينيه:

- كم ستمكث في أميركا؟

رد باول مايسون أنه لم يقرر بعد. . . أما ريا فنظرت إلى يديها تُشغل نفسها بهما ثم لم تلبث أن رنت إليه فرأت جانب وجهه الصلب أولاً ثم إلى يديه السمراوين اللتين أطبقنا على الكأس برشاقة. تحرك قليلاً، فأحست بركبته تصدم ركبتهما. كان تلامساً عرضياً وحدث فيما كان يتحدث إلى رينيه ولكن ريا تحركت مبتعدة ساحبة أنفاساً مكتومة ولكنه التفت إليها بحدة.

ساد صمت قصير التفت بعده نحوها ليقول:

- أمتك على الاسطوانة البلاطية. . . قرأت عنها في صحف

الأسبوع الفائت.

ابتسمت بأدب:

- شكراً لك.

قاطعها رينيه بقوة كالعادة:

- أتعلم أن لديها خمس ذهبيات؟ وهي تستحقها لأنها تعمل
مخلصة سيد مايسون، كما أنها محلقة تحقق الانجازات.
ومال إلى الأمام وملء وجهه الإثارة والإصرار:
- لدى بعض المغتبات كل شيء: الصوت الشجي والوجود
المرحى إلا أنهم لا يملكون الأندفاع لذا لا يحققون شيئاً.
جلست ربا مطأطئة العبتين، تعض شفيتها. كانت معتادة
على أن يتحدث عنها الآخرون وهي مستمعة فقط ولكن لم تستع
هذا الأمر اليوم بسبب وجود باول مايسون بل أحست بقله الراحة
والتوتر.

أتم ما بكل قول رينيه:

- على المرء أن يعطي كل ما عنده لينجح.

كان باول مايسون يرتشف العصير المثلج ببطء مصغياً إلى
رينيه وما بكل وهما يتحدثان عنها، كما يفعلان دائماً. في بداية
انطلاقتها صدمها أن تسمعها يتباحثان أمرها بصراحة وعلنية
ولكنها فيما بعد اطمأنت إلى حسن نيتهما فراحت تصفي، وتسجل
الملاحظات في رأسها، وتحاول اصلاح نقاط الضعف.

خلال العشاء، تطرق رينيه وما بكل إلى جدال مزعج يتعلق
بترتيبات أغنييتها الجديدة، وأصفت لهما تغض الطرف والتسلبية
تومض في عينيها، وقال ما بكل ملوحاً بشوكته في وجه رينيه:
- أقول لك إنها لن تستطيع إجادة تلك النوتة.

- ومن يقول هذا؟

- أنا أقول، فليس في صوتها ما لا أعرفه.

كانت عينا باول مايسون أثناء الجدال مركزة على وجهها،
أحست بهما تحدجانها ببرود طوال الوقت، فنقرت من امعانه

هذا. لماذا لا يتوقف - التحديق إليها؟

أحسني نحوها فجأة، وقال بصوت منخفض لئلا يلتقط
الآخرون ما يقول:

- أيتحدثان عنك دائماً بهذه الطريقة؟

رفعت ربا أهدابها فبان اخضرار عينيها وظهرت نظرة تساؤل
على وجهها.

- آسفاً ماذا تعني؟

التوى قمه بسخرية.

- سمعت هذا ليلة أمس في الملهى... وما أنذا أسمعه ثانية.

اليوم يتحدثان عنك وكأنما لا قرار لك. أنت ملكهما، طفقتهما
المدللة، ولا أراك ملكاً لنضك بل ملك لهما.

- رينيه مدير أعمالى... وهو من بنى شهرتى... لذا أنا مدينة
له بكل شيء... له ولجولي.

- ومقابل ذلك تركبتهما يدبران حياتك؟ أتعيشين هنا معهما؟
وماذا عن عائلتك؟ كيف ينظرون إلى هذا؟

تسمرت وتغضن وجهها كله وامتنعت عن الضوء بكلمة. انظر
لحظة وحين بدا له أن ليس في نيتها أن ترد سألها سؤالاً آخر:

- كم عمرك؟

- اثنان وعشرون.

عاد الصمت بينهما. ولماً نظرت إليه التقت عيناها بعينه.

- ومنذ متى وأنت جزء من هذا «السيرك»؟

- منذ خمس سنوات.

- خمس سنوات؟ أي منذ كنت...

- في السابعة عشر.

- كيف بدأت معهما؟

- هو من اكتشفني.

- كيف؟

ابتلعت ريقها بصعوبة والتفتت بعيداً. لا تريد أن تخبره الكثير عن نفسها، ولا تريد أن يعرف الكثير.

- أين ولدت؟ هل أنت من لوس أنجلوس؟

نظرت ربا إلى جولي مستجدة، فمالت جولي إليها.

- ما رأيك بالحفلة سيد مايسون خاصة أنك خبير

بالحفلات؟

- رائعة... تمتعت بها.

سأله ريبه:

- أين تقيم في لوس أنجلوس؟

شاهدت ربا يده ترتفع بقبضة قاسية فوق الطاولة:

- تملك شركتي منزلاً في آخر طابق من المبنى الذي تقع فيه.

سألت جولي بحماس دافئ:

- لا شك أن المنظر هناك رائع؟

رد بأدب بارد:

- صحيح.

أكمل ريبه يسأل وأكمل باول مايسون يرد باقتضاب كاحياً

تفاد صبره... فقد عرف ما يفعلان، عرف أنهما يعدانه عن ربا.

ولم يعجبه هذا... لكن دعائه منته من تجاهلها.

تناولوا القهوة في غرفة الجلوس وكانت جولي قد سارعت

للجلوس قرب ربا قبل أن يسبقها باول مايسون... وهناك راح ينظر

إليهما ببرود مصغياً إلى ريبه، ثم فجأة وضع فنجان قهوته من يده

ومد يده إلى ربا مطبقاً على معصمها جازاً إياها لتصف قبل أن تنكر

في رد على ما طلبه:

- أود رؤية اسطواناتك الذهبية. أين هي؟

قفز ريبه واقفاً:

- إنها في مكتبي، وسأكون مسروراً أن أريك إياها.

في هذه اللحظة رن جرس الهاتف... فترددت جولي قليلاً قبل

أن تقف لترد... وفيما كانت تمر بريبه نظرت إليه نظرة تحذير،

فابتسم:

- نحن فخورون جداً بنجمتنا سيد مايسون، فقد اجتازت

طريقاً طويلاً في مدة قصيرة، وهي ما تزال تتقدم بسرعة إلى القمة.

سيكون لدينا يوماً ما رفوف كاملة من الأسطوانات الذهبية. أليس

كذلك مايكل؟

- طبعاً...

صاحت كاترين مولولة وهي تنظر إلى يدها:

- لقد كسرت ظفري!

استدار مايكل نحوها، فمدت له يداً ترتجف والرحب على

وجهها، فقال لها:

- إنها لمأساة حبيبتني.

وقبل لها يدها، فتمتم ريبه: «يا إلهي!»

التفتت جولي بإثارة تمد سماعة الهاتف.

- لندن يا ريبه، يريدونك.

أسرع بأخذ السماعة ويتحدث بطاقة متفجرة أما جولي فوقفت

إلى قربه تحاول سماع ما يقال على الطرف الآخر من الخط.

التفت باول مايسون إلى ربا وأخذ يشدها نحو الباب، فرفعت

نظرها إليه بقلق. وقبل أن تتمكن من الاحتجاج وجدت نفسها في
مكتبة رينيه. . . حينما ترك يدها تنضت الصعداء وهناك في المكتبة
وقعت عيناه على الاسطوانات الذهبية فتقدم إليها بتفحصها أما
ريا فراحت تزرع المكان فلفقة.

التفت إليها:

- إن هذا لمؤثر.

- شكراً لك.

- أعتقد أنك تقدمت كثيراً في السنوات الأخيرة.

- والشكر لرينيه وجولي.

- آه. . . صحيح. . . أتعلمين أنك متناقضة؟ لا أستطيع فهمك.
ما كدت طوال الأمسية تنزهين بكلمة كما أنك في هذا الثوب
أشبه بتلميذة خجول، أين هي الفتاة التي رأيتها بالأسمر ترقص
وكانها نار ملتهبة؟ حين سرت فوق المسرح بفستانك الأسود،
بدوت تحت الأضواء أشد النساء إغراء فكدت تخطفين أنفاسي.

توردت وجنتاها فأخفضت عينها، لكنها لم ترد. . . فقال بعد
انتظار:

- أنت الليلة مغطاة من الرأس حتى القدم، فأيهما ريا أثرت
الحقيقية؟.

ابتسمت بيروود:

- ربما أنا آخر شخص يقدر أن يجيب عن سؤالك فنحن عادة
لا نعرف أنفسنا حق المعرفة. . . أليس كذلك؟

- لدى معظمنا فكرة عما نحن عليه. . . حين نصبح راشدين
نكوّن فكرة عن أنفسنا. سمعت الكثير الليلة من مديرك وزوجته،
لكنني لم أسمع همسة منك، فمعجزت عن معرفة ما أنت عليه

حقاً.

أشاحت بوجهها عنه:

- عليك أن تكوّن عني رأيك الخاص إذن.

- شاركيني العشاء لأتعرف إليك.

تسجحت: «آسفة».

لكنه قاطعها:

- لن أقبل بالرفض، فلم أقبل به قط. فأنا مثلك، أعرف ما

أريد وأتوجه نحوه، ولا أقبل الرفض.

ابتسم لها وهو يقول هذا، والسخرية الساحرة على وجهه،

فرفعت ريا رأسها بكبرياء.

- في هذه الحالة، أخشى أن تكون مضطراً لقبول الرفض سيد

مايسون. فأنا مشغولة جداً وعملي لا يترك لي وقتاً لحياة خاصة.

- لا يمتحك وقتاً لحياتك الخاصة؟ أتعنين الرجال؟

لم ترد. . . بل نظرت إليه متحدية.

- أليس على علاقة غرامية مع أحد؟

في صوته حدة الآن، فاستجابت لحدته بأن رفعت حاجبها

بيروود، وعيناها الخضراوان متجدتان.

دس يديه في جيبتي سرواله، يهتز يمينه ويسرى فوق عقيبته. . .

وجدت ريا نفسها تحدى إليه مفكرة أن عينيه هما أشد العيون تأثيراً

في النفس. . . شكلهما ولونهما فريد من نوعه وغريب في الوقت

ذاته. . . فجأة سألتها:

- منذ متى وأنت على هذه الحال؟ ألم تقيمي صداقات مع

شبان قط؟

تضج وجهها، ولم تستطع منع الشهقة من الخروج لكنها لم

تردد . . وصمتها على ما يبدو تكلم عنها .

- وهل هذا الوضع فكرتهما؟

- بالطبع لا!

- لكنهما يديران حياتك، أليس كذلك؟

نفرت من الطريقة التي يقول فيها هذا، وكرهت التلميح إلى أن ريتيه وجولي يسيطران عليها ويستغلانها. إنها مدينة لهما بالكثير، ولن ندع غريباً عنها يتدخل ويهاجمهما دون أن يعرف عنهما شيئاً.

- بالطبع لا يديران حياتي . . فلا تكن سخيفاً!

- لا؟

- أنت لا تفهم!

- اشرح لي إذن.

- إنهما عائلتي!

وهذا ما كانت تحس به فعلاً. إنهما عائلتها الوحيدة في الدنيا، إنهما أول من شعرت بالانتماء إليهما، إنهما بالنسبة لها الأمان.

راقب ياول مايسون الغضب يتفاعل على وجهها، وضاعت عيناه:

- لقد أقتلا عليك فعلاً بالقلل والمفتاح . . . إنهما يملكانك جسداً وروحاً.

- هذا كلام سخيف!

- صحيح؟ ولماذا تقبلين بهذا؟ لماذا تسمحين لهما بأن يديرا حياتك ولماذا تركيتهما يمليان عليك ما تفعلين؟

- إنهما مضطران لإدارة أموري، واتخاذ القرارات عني وإن

رفضت أمراً ما ناقشاني حتى يقتعاني بوجهة نظرهما.

ضحك ساخراً:

- يا إلهي . . . لا يمكن أن تكوني هكذا حقاً! أتصدقين هذا؟

الأ ترين أنك العوبة في أيديهما؟ هما بالطبع لا يريدان أن تتورطي مع أحد أو أن تحبي أحداً لأن ذلك سيقسد عليهما الأمور . . . أستطيع فهم وجهة نظرهما . . ورضوخك لهذا الواقع؟ هل أنت باردة؟

نظر إليها ملياً ثم قال بصوت بطيء:

- ليس لي الحق بهذا . . . أليس كذلك؟ ثم هناك حبيب لك في

كل مطرح . . . هناك الملايين . . ثمة مليون حبيب في كل مرة

تظهري فيها على المسرح . لهذا كنت ملتجة ليلة أمس، حيك

الوحيد هو جمهورك . . وما من رجل يستطيع منافستهم .

غضبت بمرارة مما انطبع على وجهه ومن لهجته الجافة،

فحركت نحو الباب لتخرج . ولكنه أوقفها، فأحست بالرعب

وشحب وجهها حين منعها يداً وحينما لامس جسمه جسمها .

وتكلم وكأن كلامه بلاس شعرها:

- آن الأوان لك لتخرجي من عالم الأحلام ولتكتشفي ما

بضمك . . شاركيني عشاتي غداً . أريد التعرف إليك أكثر لأعرف

ما أنت عليه في الحقيقة .

- لا .

- ولم لا؟

وأعاد الخوف شجاعتهما إليها .

- وما الذي يجعلك تظن أنك قد تعرف عني شيئاً ما دمت لن

أخبرك بما تريد .

- ولماذا السرية؟ ماذا لديك لتخفيه؟

- اتركني. - ليس عندي ما أخفيه. لا تكن سخيفاً!

- إذن لماذا تعارضين فكرة تعرفي إليك؟

- أنا لا أعارض!

- بل تعارضين. تبدين شخصاً يوشك أن يصرخ مذعوراً..

لماذا تكرهين الاجابة عن أسئلة تتعلق بك؟ كلفت من يطلع على

حياتك وإذا بهم لم يتوصلوا إلى شيء.. أنت كتومة جداً..

لماذا؟

- لأنني أخبر الناس ما أود أن أخبرهم فقط، فلكل منا الحق

في كتمان أمره. الناس يحاولون دائماً الاضطهاد ومعرفة أي شيء

عن الشخص وكأنه نوع من الحشرات.. حسناً.. لا يحق لأي

كان أن يصف فلاناً من الناس سيد مايسون، وأنا أرفض أن يفعل

ذلك بي أحد.

رد بلهجة راضية.

- هذا ما يبدو لي!

حرك يده لتلاصق عنقها مداعباً، فتراجعت محتجة:

- لا تفعل هذا!

فابسم:

- تابعي التحدث إلي لأنك عندها تعودين تلك الفتاة التي

شاهدتها على المسرح.

- لطفاً اتركني؟ لا أريد التحدث إليك!

- ولم لا؟ ألا يمكنك الزام نفسك بعلاقة حقيقية؟ أتفضلين

الخيال رياء؟

- أرجوك امتنع عن هذا القول.

دفعته عنها واتجهت نحو الباب ولكنها لم تتعد لأنها أحست

بيديه تطبقان على خصرها التحيل وتشدانها إلى الخلف، مسيطراً

عليها وكأنها طفلة صغيرة:

- لقد اكتشفت أمرك.. أليس كذلك! ما من علاقة فردية

تمثل الخيال الذي تعيشين فيه... فلا يمكن لجمهورك أن يصل

إلى معرفة ربا الحقيقية... كل ما يروته مجرد نجمة، نجمة لامعة

متراقصة... وهذا ما تريد أن يروه.. أليس كذلك؟ تفضلين

الوهم على الحقيقة، والظلام على النور.

قاومته تتلوى من جانب إلى آخر تحترق بغضب عاجز.

- أليس المكان بارداً كالفتح في عالم الخيال رياء؟

وكاد غضبها يطفح فقاومته بعنف حتى تحررت منه فقالت:

- وداعاً!

وفتحت الباب..

رد باول مايسون بتعومة:

- لن أقول لك وداعاً أبداً رياء.

وصفتت الباب في وجهه مرتجفة تهرع غرفة نومها.



٢ - أسئلة محرمة

كانت قابعة في فراشها، وما هي إلا نصف ساعة وإذا بجوليا قد دخلت عليها غرفتها، ثم تقدمت لتجلس على حافة السرير محتبة:

- لقد رحل... ماذا حدث؟

- لا شيء... نظر إلى الاسطوانات الذهبية وطرح بضع أسئلة. كرهت أن نبوح لجولي بما قاله لها من كلام أثار في نفسها أسئلة تؤثر أن تبقىها طوي الكتمان.

- أسفة لفشلنا في إبعاده عنك... فقد كانت المخابرة مثيرة... نأكدنا من وجود جولة في انكلترا في السنة القادمة، وإن لم نتأكد بعد من هذا الأمر. لكنني أقول إن كل شيء جاهز. - عظيم.

لو وقع هذا الخبر قبل أسبوع لطارت له فرحاً، لكنها الليلة أحست بالملل... وهذا ما تنبهت له جولي على الفور:

- ألم يترك هذا؟

لم تستطع فهم سبب برود ربا وهدونتها... فقد نسيت جولي باول مايسون وكان ما أزاله عن تفكيرها المخابرة.

فايتمت ربا: «أشعر بالإثارة طبعاً»

- هذا ما كنا نسعى له. عليك إن كنت تريدني الفضة أن تنالي شهرة في أوروبا.

- أعرف هذا.

فهذا... ما كانا بقرعان له الطبول منذ خمس سنوات ليرسخ في عقلها.

- تبدين أشبه بمن تلقى سندوشاً وهو يتوقع الكافيار... لا شك أنك متعبة، ومن الأفضل أن تنامي. فتذكرين أن عندك ثمارين غداً في الأستديو.

اتجهت نحو الباب وأطفأت النور، أما ربا فاستلقت تضع خدها على يدها. وسألتهما جولي في العتمة:

- أنتقل عليك كثيراً يا ربا؟ أحسين بالنعب هذه الأيام؟

- بالطبع لا.

صمتت جولي قليلاً، ثم قالت:

- ربما قد تكون أندي على حق، وأنه عليك أن تأخذني عطلة!

- أندي قتالة كل فرح... فهي تتمتع بلهو الحديث.

- وإن يكن، فقد تكون على شيء من الصواب.

وأغلقت الباب.

أخذت ربا تنقلب في الفراش، وتعض شفتها.

إنها تعلم حق العلم أن باول مايسون رجل لا يستهان به وتعلم أن الرجال الذين التقت بهم من قبل كانوا ظلالاً تمرّ بها مرور الكرام يدورون حولها كما تدور الرحي حول القطب ولم تكن لهم فرصة التقرب منها... لكن مع هذا الاتصال القصير، تأثر باول مايسون عليها أخذ يقض مضجعها. لخمس سنوات خلت، كانت غارقة في بحر لحي من أحلام التجوية والشهرة أحلام أيرزها لها رينه، ولم تكن بحاجة إلى حلم آخر.

كان وقوفها على خشبة المسرح يجعلها أسيرة حب جمهورها.
وكانت الموسيقى تأخذ بها وجمهورها إلى عالم علوي من الاثارة
المجنونة. أما التسجيل في الاستديو فلم يكن ليبلغ في العطاء
شأن عالم المسرح.

أنكرت على باول مايسون شيئاً نعرفه وقد حاول باول أن
يتزح منها اعترافاً. لكن لماذا تعترف؟ إنها لا تريد أن يقترب
كثيراً منها. إنها تخشى اعترافاً يهدد مصدر قوتها الخفي، فلو
دخل إليه أحد لتدقق العالم كله وراءه هي لا تريد ذلك بل تريد أن
تكون آمنة في وحدتها.

استفاقت في آخر الليل على كابوس شهقت له ولكنها كتمت
صراخاً لو انطلق لارتعب منه رينيه وجولي.

استلقت وقد اصططكت أسنانها ومن حولها غرقت الغرفة في
صمت مطبق ونهات عينها بفراغ الحلم الذي لا ينفك يتركه في
قلها كلما رآته.

كانت تكره أن تستفيق من الحلم لتجد نفسها وحدها في
الغرفة. فالوحدة هي أسوأ ما تقدمه الحياة. وأضاءت النور،
وأنست في نفسها طمأنينة حين فتحت الراديو واستمعت إلى
الموسيقى دون أن تلتقي لها بالاً، ثم تناهى إلى مسمعها صوت
مألوف فافترت شفتاها عن ابتسامة خفيفة. صوتها لا يزال يبدو
غريباً لها. أطفأت الراديو مجدداً. وأطفأت النور وتمددت لتعود
إلى النوم.

كانت تنهي احتماء عصر البرتقال الصباحي حين دخلت
جولي تحمل علبة كبيرة، فرفعت ربا حاجبيها حين رفعت جولي
العطاء لتكشف عن عشرات الورود الحمراء الدكناء.

ضحكت جولي:
- احزري من؟
ادعت أنها تجهل المرسل:
- ممن؟

لم يخدع تجاهلها جولي التي أخرجت البطاقة من العلبة
وأعطتها لها. لم يكن فيها رسالة بل اسم مكتوب بأحرف بارزة
سوداء.

- باول مايسون؟

- مفاجأة! مفاجأة!

أخرجت جولي وردة ذات ساق طويلة ورفعتها إلى أنفها.

- للورود رائحة طيبة. أليس كذلك؟

وجهتها إلى ربا التي تنشقت عبرها العطر.

- جميلة!

أعدت جولي الوردة إلى العلبة.

- ماذا ستفعلين بخصوصه؟

- لن أفعل شيئاً!

- سلاحك... أنت تعلمين هذا!

- لن أهتم به ولا بد أن يفهم أخيراً الرسالة.

- فلنأمل هذا، ولكنني لست واثقة. إنه رجل معتاد على

الحصول على ما يريد. إنه يختار دائماً الشهيرات من النساء.

يجب أن تكون المرأة التي يعاشرها غنية مشهورة. إنه ذواق!

- حسناً... لن يضمني إلى مجموعته!

- أنت عبدة... أما أنا، فلو أشار إلي بطرف اصبعه لقادني

وأنا طائفة.

ضحكت ربا:

- لكنك ستاومين، فأنت لا تقوين على تعطيم قلب ربيته.
- أي قلب؟

دخلت أندي في تلك اللحظة إلى الغرفة:

- ألم تنهضي بعد؟

قفزت ربا بسرعة من السرير واتجهت صوب الحمام.

- بلى!

أوصلها ربيته إلى الاستديو للتمرين، وذهب إلى مكتبه واعدأ

بالعودة لاصطحابها.

كانت عملية التمرين بطيئة رتيبة، وكان المنتج دايقد سيرنغ
يقاطعها دائماً فقد استمر يعلق على ما تفعل طالباً منها تغيير هذا أو

ذاك حتى بدا أخيراً راضياً فقال عبر الميكروفون:

- فرصة لشرب القهوة.

نزلت عن المقعد المرتفع أمام الميكروفون، وانترعت

السماعات عن أذنيها... كان الجو في غرفة المراقبة حاراً ومتوتراً

ومشعباً بالدخان، وتسللت المجموعة لتطف معها وهم يتحدثون

عن كرة القدم، فأسكت فنجان قهوتها الكرتوني وخرجت تمشي

في السمر ثم وقلت تنظر إلى خارج النافذة حيث السماء مكفهرة.

حين أطلقت يدها على ذراعها ذعرت فالتفت مصدومة وإذا بها

تنظر إلى عيني رماديتين ساخرتين فارتدت وتبضت قلبها تتسارع.

- ماذا تفعل هنا؟

- جئت أسترق السمع إليك.

التقى حاجباها:

- وكيف عرفت أنني هنا؟

- اتصلت بمديرك فأخبرتني سكرتيرته أنك هنا.

- اوه... صحيح؟

فكرت أن تقول لربيته ان الفتاة لم تكن كتومة... فقد يتصل

أي كان فيعرف منها مكانها...

وسارع بقول:

- لا تلموها... فقد ذكرت لها اسمي.

نظرت إليه ساخرة:

- وهذا ما حل عقدة لسانها؟

ابتسم:

- لي بعض السحر.

- حقاً!

- بسرني أنك عرفت هذا.

وابتم لها فشع السحر في عينيه ولكنها أشاحت وجهها قبل

أن تخفضه. ارتجفت من ردة فعلها أمامه، وغضبت من نفسها

لأنها لم تقدر على مقاومة جاذبيته، بعد قليل خلع سترته وضماها

حول كتفيها، وأمسك بياقتها:

- تشرمين بالبرد؟ أنت شاحبة، تعملين جاهدة... ألم يحن

الوقت للتمهل قليلاً آنسة ربا ابقرت؟

وأحست بلعسة اصبعه الدافئة على خدها، وعرفت، دون أن

تنظر، أنه يتبسم.

- تناولي الغذاء معي.

هزت رأسها بعنف:

- سأتناول الغذاء مع ربيته.

- لن يفتقدك إن لم تفعلني.

وجدت نفسها تسهم رغماً عنها.

- لكتني أحسى أن يفقدني.

- هاي... ريا.

نظرت إلى الخلف فرأت دايفد سبرغ ينظر إليهما باستغراب.

- نحن جاهزون.

هزت رأسها:

- حسناً... أنا قادمة.

خلعت السترة، وأعطتها لياول.

- شكرًا لك.

وقف يراقبها وهي تعود إلى الاستديو لا تلوي على شيء.

لكنها كانت تعي نظراته المثبتة عليها، فاقشعر جسمها من التوتر.

مرت ساعة أخرى قبل أن يرضى دايفد عن أدائها، وكانت قد

أصبحت متعبة، ورفعت يدها لتدلك رقبتها وهي تتجه إلى

الباب... فسألها دايفد:

- أتودين مرطباً ريا!!

قدم لها زجاجة كولا باردة، أما الآخرون فكانوا يشربون ما

اخترأوه بأنفسهم... بعد قليل نظرت إلى ساعتها وهزت رأسها

قائلة:

- سيأتي رينيه ليصطحبني بعد دقيقة... كانت موسيقى

رائعة. شكرًا لكم جميعاً... تمتعت بها!

رفع الجميع أيديهم مبتهجين، ثم عادوا إلى نقاشاتهم. عندما

خرجت إلى هواء الربيع البارد، كانت الشمس قد غابت داخل

سحابة فارنجفت تنظر إلى السماء. لكن سرعان ما خرجت

الشمس من تلك السحابة، شاحبة وكان قطرات من الرطوبة تنقطر

منها... أغمضت عينيها تمنع بحرارة الشمس من جديد ولكنها

أحست بسيارة تنف إلى جانبها وبباب السيارة يفتح لتدخل. وكان

أن دخلت مبتسمة، ثم صفقت الباب وراءها، واستدارت لتنظر إلى

رينيه.

لكن السائق لم يكن رينيه... تسمرت للحظات بلا حراك ثم

حاولت الخروج... ولكنه كان قد انطلق بسرعة:

- ماذا تظن نفسك فاعلاً.

لم يلتفت إليها، فعضت شفتها، ثم قالت:

- سيصيب رينيه الدهول إن لم يجدني!

- فليذهل، ويتساءل.

- لا يمكنك فعل هذا!

- راقبيني أفعّل إذن.

وابتعدت السيارة الكبيرة الفخمة، فغاب الاستديو عن

نظرها... أمام إحدى الاشارات توقفت... فسارعت ريا تحاول

فتح الباب لتخرج... ولكن الباب لم يتحرك... فقال لها:

- كل ما في السيارة يتم آلياً.

فكورت ريا نحو الباب مشحونة بالغضب والامتناع.

- لا يمكنك خطفي هكذا! ألا تفهم أنني لا أريد أن أتعرف

إليك.

- بل فهمت هذا.

- إذن، لماذا؟

- هناك شيء واحد تجابهيني فيه دائماً هو الرفض وفي الواقع

أنت لا تعرفين شيئاً مهماً عني... فأنت لا ترفضيني أنا... بل

ترفضين أي نوع من الالتزام مع أي كان، لذلك لن أستسلم قد

تغطين نفسك بالثلج ولكني أحب أن أرى تأثير بعض الحرارة عليك.

انكمت يداها بقبضتين صغيرتين:

- ما أشد جرائك!

ضحك:

- اجلسي كما أنت وتمنعي بالمناظر.

- لن أتمتع بشيء.

- سري.

أستدت نفسها إلى المقعد، تراقبه بمسك المقود بين أصابعه

المذبذبة القوية.

- إلى أين تأخذني؟

- مفاجأة.

تمتعت.

- قل هذا إن شئت ثانية.

فضحك: حين تتعرفين إلي أكثر...

- هذا إذا تعرفت إليك.

رد باصرار:

- بل ستعرفين إلي لأنني إن عقدت التبة على شيء وصلت

إليه.

جلست مستقيمة وعيناها تلمعان غضباً:

- حتى نابوليون هُزم في واترلو.

- لكنك لن تكوني واترلو بالنسبة لي ربا... في هذه اللحظات

لا أدري ما ستكونين ولعل هذا ما يجعل الأمر غامضاً. أنت تحب

لي، وأنا أتمتع بالتجذبات... فلن أشعر بالإثارة إن حصلت على

ما أريد بسهولة.

- لكنك لن تحصل علي بسهولة أو بصعوبة.

- أنت حين الريف؟

نظرت إلى ما حولها فرأت أنها خرجا من المدينة باتجاه

الضواحي لكنها لم ترد، فانتزع يده عن المقود ليتمرر أصابعه على

كتفها مداعباً... لكن ردة فعلها كانت غاضبة فصغمت على يده

وارتدت حتى الباب:

- ابعد يديك عني!

قال ببرود:

- أجيبي اذن... وتوقفي عن العبوس.

نظرت إليه بغضب قاشم:

- عندما تطأين أرض معركة يا ربا ناكدي دائماً أن أسلحتك

مناسبة لها. أنا أقوى منك لذا لن تغلثني مني فأخرجني اذن من

قوقعتك. وحاولي أن تكوني لطيفة معي.

لم ترد عليه... كان وجهها شاحباً بسبب شعورها بأصابعه

على وجهها، وتعاطف ارتياكها لهذا التهجّم المتعمد منه، وسألها:

- هل عشت في لوس أنجلوس طوال عمرك؟

- أجل.

- أين تعيش عائلتك؟

- ليس لي عائلة.

- أليس والداك على قيد الحياة؟ ماذا حدث لهما؟

تجنبت الرد، وفاجأته بسؤال مماثل:

- وماذا عنك؟ هل والداك على قيد الحياة؟

- مات والدي منذ عشر سنوات... ولكن والديني ما تزال

قوية. وستبلغ السبعين هذه السنة. ولكنها تقود طائرتها بنفسها
وترعى اسطبل السباق بنفسها. وهي مؤمنة أنها بهذه الطريقة
ستبقى شابة، وبسبب انشغالها الدائم بخطط السباق للموسم التالي
نسيت إلى أي حد كبرت.

وجدت ربا نفسها تضحك:

- ألدبك اخوة أو اخوات؟

- اختان. . وأنت؟

تلاشت بسمتها واشاحت بوجهها:

- لا. . هل أختاك متزوجتان؟

- نعم وهما في انكلترا. الكبرى باترسيا، لها صبيان
والصغرى جوزفين التي لديها فتاة صغيرة، أمي فخورة لأنها
أصبحت جدة.

- لكنك لم تتزوج؟

- بل. . تزوجت مرة.

أحست بالدهشة.

- وهل طلقتهما؟

- بل ماتت.

التفت إليه لتراه ينظر أمامه متجهماً، ويكمل:

- كان هذا منذ زمن طويل.

- حادثة؟

- ماتت وهي تلد.

أجفلت ربا:

- آسفة. . والطفل؟

- مات أيضاً.

في صوته نبرة خشنة، فامتعت عن قول شيء لفترة قصيرة قاد
خلاها السيارة وعيناه على الطريق والكأنة في عينيه. من الواضح
أنه ما زال يعاني فلم يغلب على حزنه على ما يبدو. متى حدث
هذا؟ . . وسألها:

- هل رغبت دائماً أن تكوني مغنية؟

استرخت قليلاً وتهدت:

- منذ وعيت على الحياة انتظرت طويلاً حتى وصلت إلى ما أنا
عليه ولكن لا يمكن للمرء أن يتأكد من نجاحه، وعليه المشاورة
للمزيد من التقدم.

نسيت مع من تتكلم، فقد غرق تفكيرها في موضوع تحبه.

- وكيف التقيت بمديرك؟

- كنت أغني في مقهى مع هواة فلما سمعني ربه أعجبه ما

سمع. . كنت يومذاك جيدة إنما هشة ضعيفة وسينة الحال أيضاً.

ابتم:

- لكنه رأى النجومية تلمع فوق رأسك فسمى إليك.

- أعتقد هذا. كنت مهملة، لا أعرف أصول الغناء، لكنني

كنت بارعة بطريقة ما.

- كم كان عمرك؟

- سبعة عشر عاماً.

- وما كان رأي أبوك بعالم الأضواء.

- لم يسألهما أحد رأيهما.

- وهل تركت المنزل هكذا دون كلمة وداع؟

ضحكت بخشونة:

- المنزل؟ لم يكن لي منزل قط سيد مايسون، أو حتى أبوين

أو اسم... وجدت في الشارع مقمطة وعمري لا يتجاوز بضع ساعات ومرت الأيام ولم يتقدم أحد يسأل عني.

ران صمت ثقيل، والسيارة تسعى بسرعة بين حاجزين من الشجيرات الكثيفة. كانت السماء فوقهما زرقاء شاحبة وكان على جانبي الطريق حقول ممتدة إلى البعيد، وكانت ربا ترنحفا. إنها تكره الكلام عن ماضيها، تكره ذكرى السنوات التي سبقت لقاءها برينيه... لذا كانت كلما ذكرت بدايات حياتها تصاب بالغثيان.

واستدارت لتتظر إلى باول مايسون:

- أترى سيد مايسون... ليس بيننا شيء مشترك. أنت تعرف من أنت، ومن أين أتيت وإلى أين تنتمي، أنت واثق من هويتك. أما أنا فلا أعرف شيئاً عن نفسي.

أوقف السيارة على جانب الطريق فذعرت ربا:
- لماذا توقفت؟

لم يرد، بل دس يده في جيب سترته الداخلي، وأخرج علبة ذهبية، فتحتها وأخرج سيكاراً رقيقاً طويلاً. وضغط على زر في واجهة السيارة، فانفتحت نافذته بنعومة.

أشعل السيكار ونفض دخانه إلى الخارج.

- أنت تعرفين عن نفسك بقدر ما يعرف أي منا عن نفسه.
ضحكت بغضب.

- وماذا تعرف عن هذا؟ أنا من عالم مختلف عن عالمك. لا اعتقدك قادراً على تقديم فتاة مثلي إلى أصدقائك، وإلى عائلتك... فما إن يسألوا من أنا ومن أين أتيت حتى تجد نفسك أمام هوة محيطة تغفر فمها في وجهك. فللناس طريقتهم في تصيفك وفي وضعك في مكانك الصحيح، خاصة الأثرياء ممن تنتمي أنت إليهم.

- يا لتكبرك!

احمرز وجهها:

- لا تكن سخيفاً! فمن أنا حتى أتكبر؟ وماذا عندي؟

- وماذا عندي أنا لأتكبر؟

التقت أسناتها وقالت من بينهما:

- لا حاجة بك إلى شيء لتكون متكبر.

- وأنت بحاجة؟

- لم أقل هذا، فلا تتلاعب بوجود الكلام.

- بل أحاول تفسيرها... ألهذا قطعت نفسك عن إقامة علاقة

حقيقية مع أحد؟

- بل لدي الكثير من العلاقات الحقيقية! لدي عشرات من

الأصدقاء، لكنهم جميعاً من عالمي، موسيقيون ومغنون... إنهم

من النوع الذي يتقبلني دونما سؤال... إنهم يقبلون بي على ما أنا

عليه.

- إذن، تعرفين من أنت؟ ربا ابقرت إحدى أنجح المغنيات في

البلاد إحدى أجمل الجميلات وأشجعن إثارة وموهبة... لا أحد

يهتم ابنة من تكونين؟ أو من أين أتيت؟

ضحكت بحرارة:

- لا أحد يهتم؟ إذن لماذا سألتني عن هذا؟ لقد التقينا منذ

برهة ومع أنك تعلم أنني ربا ابقرت، وأنتي مغنية طرحت ما

طرحت من أسئلة. كنت تحاول أن تصفني بأسئلتك، وأن تضعني

في مكاني الصحيح!

رمى باول سيكاره من النافذة بطريقة غاضبة، واستدار إليها:

- كنت أحاول إجراء اتصال معك، أردت أن أفهمك، أن أعرف سبب جمودك من الداخل... واعتقدت أنني قادر على أن أصل إليك ببطء وأن أعرفك... لكنني أرى أنني اخترت الطريق الخاطئ.

- لا أريد أن تتقرب إلي بأي أسلوب كان.

- أوضحت هذا تماماً.

- إذن، لماذا لا تفهم الرسالة فتدير هذه السيارة وتعيدني إلى

حيث أنتمي على أن تبقى بعيداً، أعني في المستقبل.

استقرت عيناه الرماديتان على عينيها، واتسع ناظرها والتعما وأصبح تنفسه مسموعاً في هدوء الريف... وأحست ربا بالانذار البارد، قبل أن تمسك يدها ذراعها لتجذبها إليه... حدث هذا بسرعة كبيرة فلم يكن أمامها فرصة لتجنبه. فانفجرت شفتاها بأهت احتجاج.

غبر باول وضع عناقهما فنسلت يدها إليها تجذبها أكثر فأكثر إلى أحضانه. فوضعت يدها على صدره، ترفعه بعيداً ولكنه لم يتأثر. وأحست بحركة يديه الدافئتين على شعرها الأحمر الذي راحتا تجولان فيه قبل أن يشدها بلطف ويرجع رأسها إلى الوراء... كان قلبه تحت أصابعها يخفق خفقات سريعة وكانت حرارة بشرته تحت القميص تزداد وتزيد احساسها به. فراح تفكيرها يدور بمزيج متفجر من الخوف والإثارة، لكنها توقفت عن الاحساس بوجوده تماماً، فقد انشغلت مشاعرها في صراع داخلي مع احساسها الداخلي.

إنها المرة الأولى التي تشعر فيها بهذه الأحاسيس خارج المسرح، كانت حدة الأحاسيس القادرة على إظهارها خارجية في

الماضي... ولكن جسمها كله الآن أصبح ميدان معركة اثارتها أحاسيس مجنونة قاومت بحرارة لتسيطر عليها.

تلوت برعب مبتعدة ترد رأسها إلى الوراء مطلقه صرخة احتجاج، لتتخلص منه. فتركها وعاد مستوياً إلى مقعده يسحب أنفاساً سريعة ووجهه قائم. فوضعت ربا يديها المرتجفة على وجهها، تهتز من المشاعر التي أحست بها لتوها... وكان الصمت بينهما كجدار أسود.

بعد وقت طويل تحرك فشغل السيارة ثم انطلق بها نحو ممر صغير رجع بها إلى الوراء ثم عاد إلى الطريق الذي سلكه من قبل أما ربا فتركت وجهها مغطى يديها... وكانت في تلك اللحظة تكتره وتكره نفسها بسبب ردة فعلها، وحين رفعت يديها عن وجهها أخيراً وجلست كاشفة الوجه كانت تعرف أنه لا ينظر إليها. حالما دخل إلى لوس اتجلوس ثانية قالت له بحفاة:

- هل لك أن تنزلني أمام مكتب رينيه... أرجوك؟

لم يرد. ولكن، بعد عشر دقائق، توقف خارج المكان، فوضعت يدها على مسكة الباب.

- ربا...

- أسمح بأن تفتح هذا الباب؟

ظلت هنيهة سيرفض لجبرها على الاصغاء إليه ولكنه رد ببرود:

- إنه مفتوح.

وصفت الباب وراهها، وانطلقت بسرعة ولكنها سمعت السيارة تتطلق قبل أن تدخل إلى المبنى الذي يضم المكتب.

عنك فتنة واغراء. أفلا تشعرين بانجذاب إليه ولو قليلاً؟

- لا ...

كان ردها حاسماً، لكن بين حنايا أضلعها قلب خافق لو نطق بما فيه لانتضح أمر انجذابها إلى باول مابسون. وهي إذ تصب جام غضبها على باول مابسون لمحاولته عناقها فإتما تدفع بمشاعر الكراهية نحوه ولا سيما أنها تأنف أن تعترف بما كانت عليه مشاعرها الحقيقية عندما أخذها باول بين يديه.

كان ربه يهز ساقه وهو جالس على حافة طاولته، محققاً إليها:

- تبدين شاحية متعبة وكأنك على وشك الانهيار. كانت جولي تقول بالأمس إنك بحاجة إلى عطلة، وأعتقد أنا جميعاً بحاجة إليها.

اتشى فوق طاولته ليلتقط دفتر المواعيد الكبير الجلدي، ثم أخذ بقلب صفحاته، وعلى وجهه ارتسمت علامت التفكير. ثم قال:

- ما من مجال لعطلة حتى بضعة أسابيع. فالأيام القادمة زاخرة بالمواعيد والحجوزات وذلك حتى شهر حزيران. ولكن لو استطعت إيجاد فرصة أسبوعين في منتصف الصيف لتمكنا من قضاء عطلة في مكان فيه دفء وهدوء وشمس.

- ظننتني في شغل حتى نهاية السنة.

ضحك ربه:

- هذا صحيح حبيبي، لكنني قادر على تأخير مواعيد الأسبوعين الأولين من حزيران، حتى آخر السنة. فخلالهما من المفترض أن تسجلي بعض التسجيلات ولكن يمكن أن تؤجل هذا

٤ - الغضب البارد

لم تكدر تدخل المكتب حتى استشاط ربه حنقاً وغيظاً:

- ماذا جرى لك؟ قد رايتني نأ ذهابك أنت وباول مابسون.

ارتدت متهاككة على مقعد جلدي، قرب طاولته:

- لقد اختطفني

- ماذا؟

- أخذني من أمام الاستديو في نزهة بالسيارة.

- وهل أنت بخير؟ هل منك بسوء؟

بانت نواجذها عن تكشيرة.

- وهل نظمتي لقمة سائفة سهلة المتال؟ ثم أرجو منك أن

تبعده عني فإني غير رغبة في رؤيته مجدداً.

- لك ما أردت يا طفلي! لكن هل حاول ...

قاطعته بحدة:

- عانفتي وحسب ولم أمكنه من غير ذلك ولا أريد لهذا الأمر

أن يتكرر.

هدأ بال ربه، وابتسم معارحاً:

- لا يفوتهم أن يلعبوا حظهم. أليس كذلك؟

- إنه كذلك في كل مرة.

بدأ يضحك.

- عيبك أنك على حظ عظيم من الفتنة والاعراء. ولكنه لا يقل

إلى شهر كانون الأول. فلن نحتفل أن تنهاري من كثرة العمل.
ليس كذلك؟ كل هذه المؤسسة قائمة على اكتافك.

رقت وهي تبتسم ابتسامة، تنم عن سخرية:

- أووه... وهذا ما يجعلني أحس بالعظمة.

أقبل دفتر المواعيد، ووضعه من يده، ثم أقبل ووضعها على
ركبت كما يضع الأب المخلص ابنته.

- يجب أن نعتي بك، وبهذا سكف لسان جولي عني فهي

تلخ علي منذ أشهر لأعطيك هذه العظلة.

أخذها معه بعد ساعة إلى المنزل في باسادينا، حيث تقدمت

جولي من الحديقة وتفحصتها بنظرات تؤكد أن رينيه أخبرها بما

حصل، فابتسمت رياء، ثم دخلت إلى المنزل، فلحقتها جولي إلى

غرفة النوم، حيث وقفت تستند إلى الباب:

- هل أنت بخير؟

- أجل.

- قلت لك إنه سلاحك.

- أنسرين لو تبين لك أنك على حق؟

- وهل ضابلك؟

ضحكت رياء ضحكة لا مرح بها:

- ما هذا السؤال؟ لم يفلح - على كل حال - في محاولته

التمادي في ازعاجي ونيل مآربه.

قطعت جولي جبينها تراقبها:

- أعتقد أنك تعرفين ما أنت فاعلة

هزت رأسها.

- أعرف.

- كثيرات من النساء اللواتي يرتمين بنظرة منه عند قدميه.

ودت رياء ساخرة.

- ما في ذلك شك، لقد قلت أنت إنه يهوى جمعهم.

- هذا ما يقال.

- بعض الرجال يجمعون طوايح بريديّة وبعضهم يجمع

النساء، ولست طامعة أن أكون فيمن يجمعهم.

قالت جولي ببطء:

- ربما تتصرفين بحكمة.

- واثقة من هذا.

هزت جولي كتفيها:

- حسناً... ستناول العشاء الليلة عند السيد دانتورز، فلا

تتسأ وأظن أن من الأفضل أن ترتدي الثوب الأبيض ذا الحزام

الذهبي المجدول.

خرجت جولي، مغلقة الباب وراءها... لم تكذ رياء تخلو

بنفسها حتى وضعت فرشاة الشعر من يدها بعنف، وأحنت رأسها

بين يديها المرتجفتين، وأحست بالدم يندفع بالم في شرايينها،

ولم تستطع أن تكبح جماح قلقها.

لقد كان في كلام جولي اغراء شديد، وقد استبسلت في

مقاومة الفكرة التي عرضتها، فهي تخشى على نفسها من الدمار إن

انقادت وراء مشاعرها. هذا ما تعلمته في ريعان صباها.

كان ميثم الأطفال حيث نشأت بادارة راهبات متشدات يؤمن

باللطف والدقة إنما مع الحزم والنظام. كانت الفتيات فيه يتبعن

نمطاً لا يتغير فمن الغدو باكراً إلى كنيسة المدرسة إلى صلوات

أخرى خلال النهار. وكاتت حياتهن هادئة مملّة ومثقلة

بالواجب . . ما إن تمكنت ربا من التخلص القانوني من هذا الفراغ حتى وجدت لها الراهبات وظيفه في شركة محلية، وغرفة خاصة لها في منزل عائلي حيث وعدت الزوجة بأن تحسن مزاها.

لكن القدر كان لها بالمرصاد فسرعان ما استرعت انتباه الزوج ولم تستقر بها الحال بضعة أسابيع حتى فوجئت ربا بالزوج وقد هجم عليها محاولاً الاعتداء عليها وافتراسها، يومذاك قررت ترك تلك الضاحية المملة من مدينة توسن، من ولاية اريزونا والانتقال إلى لوس أنجلوس حيث تقلدت فيها وظيفة.

عملت في أحد المصارف، ووجدت غرفة في منزل قدر وبقيت فترة على رغم استقرارها، حذرة من أخطار المدينة.

لكن أخذت نفسها الثائرة تهذا رويداً رويداً ثم تألفت هي وفتيات المصرف فقدمتها احداهن إلى أخيها، الذي كان يعزف الغيتار، ومنه التقت بالموسيقين الهواة الآخرين الذين بعدما أدركوا أنها قادرة على الغناء أخذوا يصطحبونها وأخذوا يجنون المال من ورائها ولكنه لم يكن ثروة ولو عملوا كل ليلة لأمثوا لكل منهم مالاً أكثر مما قد يجنونه في مكتب وكانت في الفترة التي سبقت لقاءها برينيه قد تعلمت من خلال أحداث متعددة أن تنقي كل من تلتقيه من رجال.

علمت أن لها جاذبية جسدية تترك أثراً مباشراً في الجنس الآخر . . فحينما كانت تعني، كانت تنصرف إلى الموسيقى ناسية كل شيء ولأنها كانت تعني بشكل مشير كانت تترك في من يسممها من الرجال آثاراً لا تمحى من الذاكرة.

غير أنها لم تفهم أمر تأثيرها في اسماع الرجال وأفتدتهم إلا بعد أن أقنعتها رينيه الذي أزججهت كوايسها، فارتأى أن تزور طبيباً

نفسياً وكان أن راحت تقصد طبيباً ظلت تواظب على جلساته أشهر حتى ألحت ربا عليه فاعترف بعد أن كشف جذور مشكلتها النفسية أنه لا يقدر على فعل شيء سوى أن يتصحها بأن تحاول الخروج من ماضٍ مضطرب وحاضر مزعج إلى مستقبل تكون فيه راشدة أتم الرشد.

- وكيف أفعل هذا؟

- آه . . . هنا السؤال.

- وهل لديك الجواب؟

هز الطبيب رأسه:

- يجب أن يخرج منك الجواب.

قررت عندها ألا تدفع بعد اليوم مالاً لرجل يطرح عليها أسئلة لا يستطيع هو نفسه الاجابة عنها، ولكنها فهمت منه أنها كانت في طفولتها السوداء جائعة للعاطفة والحب، لذا حين يقترب منها رجل يشير في داخلها صراعاً قوياً بين جوعها للحب الذي لم تعرفه قط، وبين ريتها البديهة من دواعي الرجل الذي يحاول التقرب إليها.

لذلك، كان باول مايسون الآن، واحداً من سلسلة طويلة من الرجال حاولوا تملقها ومذاهبتها لتقبلهم. صحيح إنه رجل جذاب يريد اغواءها ولكنها لم تقبل بما يعرضه عليها. فقد كان بإمكانها أن تخوض مثل هذه المغامرة الغرامية في السنوات الماضية . . . إنها تريد شيئاً خطيراً يرضي نفسها، وهذا ما لن يتمكن من تقديمه.

طرفة جولي على الباب جعلتها تفتز من مكانها:

- هيا ارتدي الثياب، لتلا تأخر على العشاء!

صاحت بها هي :

- أيتها المستبدة!

جوشوا دانقرز صاحب شركة ضخمة للتسجيلات ورئيس مجلس إدارتها وهي شركة ارتبطت معها ربا بعقد مدة خمس سنوات وقد تم التوقيع على العقد منذ سنتين ونصف، حين كانت مغمورة تقريباً. حينذاك بدا لها العقد معجزة نزلت عليها من السماء. لكن منذ أصبحت نجمة كبيرة، أخذ ربنه يحاول إعادة التفاوض في شروط العقد.

شق ربنه بالسيارة طريقه إلى بيترلي هيلز عبر شوارع لوس أنجلوس المكتظة، وكان يرشدها طوال الوقت إلى طريقة التصرف مع السيد دانقرز.

- إنه رجل قصير مراوغ... يبدو كبابا نويل ويتصرف تصرف ولد مراهق... فراقبه مراقبة الصقر لفرسته.

قالت جولي :

- لا تترك لكمة سائغة.

فضحكت ربا :

- هل له ميول مصاصي الدماء؟

صاح ربنه مذهولاً :

- أو تسألين؟ إنه يشرب كثيراً يوماً من دماء غيره، وإلا من أين له هذه القوة؟ تجارته الجاهزة بسمه لطيفة، لكنها لا تتجاوز فمه لذا استتري بالجهل تأمني جانبه.

- لو طلب منك أن تشربي العصير، قولتي له إنك سنسألين ربنه أولاً، المبدأ الأساسي أنك تجهلين كل شيء.

ضحكت ربا :

- كأننا ذاهبون إلى ميدان حرب لا إلى عشاء!

صاحت جولي :

- قد فهمت!

يسكن جوشوا دانقرز في منزل فخيم في ضواحي بيترلي هيلز. والمنزل يخفيه وراء سور مرتفع تحيط به حدائق غناء واسعة. حين أدخلوا إلى المنزل، وقفت ربا تنظر إلى ما حولها بفصول. فتح لهم الباب رجل مهذب يرتدي سترة سوداء، سارع يرفع سترتها الفرو عن كتفها أما ربنه فكان يتأمل لوحة زيتية صغيرة على الجدار القريب... وهمس لربا :

- أتعرفين ما هذه؟ انظري إلى براءة الرسام... لا شك أنه دفع ثمناً باهظاً لشراء هذه اللوحة.

قالت له جولي بخشونة وحدة :

- ابعدي نظرك عنها... من العيب أن تقدر ما ينفقه الناس على ديكور منازلهم.

نظر إليها ربنه نظرة الجريح، ودنا من الأصوات القادمة من قرب الأبواب، لحقت به ربا وتبادلت مع جولي بسمه.

- لقد جرححت احساسه.

- لا احساس لديه، فهو مصنوع من المطاط الطبيعي، يقفز بخفة حين ترميته بعيداً عنك.

- وهل تشاجرتما؟

ترددت جولي قليلاً :

- كنت أقول له إنه لم يبد ذكاء في مسألة باول مايسون. لقد رماك بين ذراعيه حينما دعاه إلى العشاء، وما هذا إلا بسبب ولعه

بالمال.

عيت ربا:

- ألا يمكن أن نسي الموضوع؟ لا أريد التفكير في ذلك الرجل ولا رؤيته ثانية، كما لا أريد أن تتشاجرا من أجله.

تقدم السيد دانفرز بصافح ربيته، قبل أن يستدير إلى ربا قائلاً بصوت مرح ذاتي:

- وأخيراً الضياع ربا! لا أعرف لم لم تلتقي من قبل! كنت أستمع بفنائك منذ زمن لذا من الغريب أننا لم نلتق سابقاً. كانت حفلتك رائعة ذلك المساء بيعت فيها جميع التذاكر! استطرح التسجيلات في الأسواق في أقرب وقت ممكن... صدقتي.

ردت ربا بحماسة:

- هذا عظيم.

تقدمت منها جولي تخزها بشكل غريب في خاصرتها وأومات بعينها إيماءة لم تدرك مغزاها... وسمعت السيد دانفرز يقول وهو يقدم سيده مبسطة:

- ربنا عزيزتي... هذه نجمتنا.

صافحت المرأة ربا بحرارة، وقالت لها إن لديها كل تسجيلاتها... ولكن جولي تقدمت نحو ربا، وقد بدا عليها كرب حقيقي أما السيدة دانفرز فكانت تشرح لربا أي نوع من الأغاني هي المفضلة عندها لكن ربا سارعت للنظر إلى جولي مستغربة فلم تتلقى منها سوى استدارة بائسة جعلتها تنظر في العرفة بحثاً عن أفزع جولي.

لم يكن عليها امعان النظر ففي العرفة التقت عينها عيني رجل متكئ إلى جانب مدفأة أنيقة قديمة الطراز، فأحست ربا بنياط قلبها تتقطع داخل ضلوعها.

أسك السيد دانفرز بيد ربا وقادعا بين الضيوف يعرفها إليهم. كانت تعرف معظمهم لذا توقعت حفلة ممتعة... ولكنها لم تكن مستعدة لرؤية باول مايسون هنا فجهدت أبما جهد لتتعاظف على ابتسامها.

حين وصلا إليه، كان غارقاً في التحدث إلى امرأة أحست ربا أنها تعرفها أو رأتها من قبل. توقفت السيدة دانفرز لينظر إلى باول نظرة أبوية:

- أخيرني باول أنكما تقابلنما من قبل، لكنني أعتقد أنك لم تتعرفي إلى الآن على دوريس. إنها ابنة أخي... دورس جاريت وهي مصممة رسوم المنسوجات، وتصميماتها تباع في جميع أنحاء العالم. إنها موهوبة.

ابتسمت المرأة البنية الشعر، وهي تمد يدها إلى ربا:

- أنا قادرة على فتح أبوابي بنفسي خالي.

تجاهلت ربا نظرة باول الكئيبة وسألت:

- أي نوع من الأقمشة تصممين؟

رد السيد دانفرز:

- قماش الستائر.

فقطرت إليه ابنة أخته ساحرة، وقالت شارحة:

- أقمشة أثاث المنازل على مختلف أنواعها، الكتان والأقمشة المصنوعة يدوياً... أنا من صممت ذلك القماش الذي تربته فوق نوافذ منزل خالي.

التفتت ربا فلما رأت ذلك القماش أعجبت حقاً بالقماش الأزرق المزين بنقوش وردية هي رسوم لطيور وورود وقد جاءت جميعها في قالب رائع.

- إنه جميل جداً! أنت فعلاً موهوبة، فما هو مصدر وحيك
ومهبط الهامك.

- هذه الستائر استوحيتها من لوحة فنان إيطالي. وخالتي خبير
باللوحات. - أضيفي إلى ذلك أنه خبير في تضليل الناس.

ضحك الخال والفتى إلى ربا المنسمة.

- هل أشكرها على هذا الاطراء؟ ما من رجل يبدو بطلاً في
نظر من يحب، خاصة ابنة أخيه.

- لا يا خالي. - لست عندي من الابطال.

تمتم لربا وهو يبعدها.

- دعينا لا نسأل أين يمكن أن تصفني. - فهي لا تتورع عن
قول ما تفكر فيه وهذا ما لا يعجبني. فهذا يقضي أحياناً إلى

الاحراج، وهذا مرده إلى دخولها إلى كلية الفنون التي تفرس في
رؤوس طلابها أفكاراً بوهيمية. - أذهبت إلى كلية الفنون ربا؟

- لا.

- فتاة عاقلة، فالتاس يقضون سنوات في الدراسة وبعدها لا
يجدون وظائف.

كان يجرها وراءه بسهولة ليعرفها إلى ضيقه. وفيما كانت
نصفي إلى أحاديث تتداولها جماعة من الناس اختلست النظر إلى

باول القابع في الغرفة فوجدته ينظر إليها نظرة باردة عندها أشاحت
بوجهها عنه. كان ما يزال مع دوريس جاريت. يبدو أنهما

صديقان. لكن أين شاهدت دوريس من قبل؟ عندما جلس
الجميع إلى المائدة تذكرت. - إنها المرأة ذات الثوب الأحمر التي

كانت مع باول في الملهى عندما التقيا أول مرة. بدا لها جميع

الحاضرين من الأثرياء، ولكن باول مايسون بدا من طينة مختلفة
وهذا ما جعلها تسأل: ماذا يفعل هنا؟

وهو سؤال كان يعذب ربيته وجولي كما اكتشفت فيما بعد
حين اختلها بها قليلاً بعد العشاء.

- أوه هنا للمتعة أم للعمل؟

تمتمت جولي منجهممة:

- ربما للسبب معاً.

وقالت ربا:

- أحياناً أعتقد أن ليس في عقليكما سوى الشك. وأراهن
أنكما تنظران تحت السرير قبل أن تناما!

- كسبت الرهان، فأنا أتمنى دائماً لو أجد رجلاً هناك.

ضحكت جولي، فقال ربيته وهو يغمز ربا:

- لا تقلقي عزيزتي، سأحميك منه.

ردت عليه بطريقة حزينة:

- وهذا ما أخشاه.

تقدم منهما السيد دانقرز مجدداً ليأخذ ربيته:

- تعال أريد رأيك بلوحاتي يا عزيزي.

تمتمت جولي:

- من الأفضل أن تراقبهما. فقد بقنعه جوشوا دانقرز بأن
نغني له مجاناً.

ما كادت ربا تتأهب وتلتحق بجولي، حتى أمسكت يد
بمرفقها، ففرغت وجهها ثم شهقت. قال باول مايسون:

«أناحاولين تجاهلي».

- أوه... مرحباً.

- كنت تنظرين إليّ بلا أدنى اكتراث أثناء العشاء.

تأكدت الآن من فسوة لهجته، فألقت عليه نظرة مباشرة، ولكنها سرعان ما أبعدت عينيها.. فوجهه يحمل أكثر من البرودة.. وإن لم تكن مخبئة.. هناك خطوط قاسية حول فمه وتوتر غاضب في أعماقه جعلها تشعر بأنها اتخذت لنفسها عدواً شرساً اليوم.

* * *

٥ - الآباء يأكلون المحصرم

ردت ربا بصوت مضطرب:

- لا أعرف عما تتكلم.

- أوه.. ربا، تعرفين حق المعرفة. أنا لا أحب أن ينظر إليّ

أحد بلا اهتمام كما فعلت أنت هذا المساء.

- تتراى لك الأمور.

- لا تتراى لي.

- إن لم تتكلم حتى الآن فالسبب هو الصدقة.

التوى فمه بوحشية.

- لا تقولي هذا ربا.. حينما اصطحك جوشوا تحدثت إلى

دوريس، وتظاهرت أنني غير موجود.

- وهل تعرف جوشوا دانقرز جيداً؟

- تعبرين الموضوع؟

- لم أتوقع رؤيتك هنا..

- أنا واثق من هذا.. وإلا لاتخذت الصداق حجة لتتهرب من

السهرة.

- لا أصاب بصداق وأنا أحافظ دائماً على المواعيد العملية.

- وهذا ما هي عليه هذه الحفلة؟

ابتسمت:

- صحيح.. وهؤلاء الناس ليسوا من طرازي كما تعرف

لا.. ليسوا من طرازي أبداً..

- وما هو طرازك؟

- موسيقون، مغنون... أشخاص يمتنون المهنة نفسها،
فأنا أبقي دائماً في منطقتي الخاصة سيد مايسون.

- أليست هذه منطقتي محدودة؟ هذا إذا لم أقل جبانة... إن
رفضت القيام بعلاقة حقيقية ذبلت من الداخل ريبا... فقي كل مرة
ترفضين الفرصة، تنكرين فيها أنك حية، وفي النهاية لن تبقى حية
بل مستغدين شبحاً يسير على قدمين.

استدارت مبتعدة:

- اصمت! لا أريد أن اصغي إليك؟

لكنها أحست يده تمنعها وتشدّها إليه دون جهد.

- عاجلاً أم آجلاً ستصغين إليّ... وسأؤكد من هذا بنفسي،

فأنت جبانة صغيرة مذعورة ريبا.

- أنا لست كما تصف!

- يا إلهي... رأيت نفسك مزور حقاً.

ردت ساخرة وبحدة:

- لا أظن أن رأيي بنفسي هو ما يزعجك... بل رأيي فيك!

- وما هو؟

كادت تتراجع عن الرد ولكن شيئاً في تحديه جعلها ترفع

رأسها بشموخ، لترد:

- أعتقد أنك رجل حصل دائماً على ما يريد، حتى أصبح

يؤمن أن له الحق بمد يده إلى كل ما يشتهي.

- ساحر... أكملني

- ألا يكفي هذا؟

ضحك بغضب وبصوت منخفض:

- بل يزيد. ولكنني أرى من قسّات وجهك أن هذا ليس كل
ما ترغبين في قوله... لذلك هيا... أمضي في حديثك.

ابتسمت له بعدوية:

- سيد مايسون... أشعر أننا نلعب لعبة إيجاد الحقيقة ذاتها!
إنما مع اختلاف خطير.

- الحقيقة دائماً خطيرة:

- إذن لماذا تتحرش بيها؟

- لا أنحرش عادة بها. لو أدركت أنني لم أعجبك لا تبعدت
دون أن أنظر خلفي.

- لماذا لا تفعل ذلك؟

- لأنني أريد أكثر مما تسمح لي نفسي بفعله.

كبحت شهقة ذهول، وأخفضت عينها... أردف بعدوية فاتقة.

- ولأنني كلما رأيتك أدركت أنك متجمدة منذ سنوات، وأنت
موضوعة في ثلاجة دون أن تدركي ذلك ولكنني شاهدتك تقنين

فعرفت أنك لا تملكين فقط البرودة فتحت الثلج هناك رغبات
كثيرة لا تعرفينها أنت... وأنا أريد هذه الرغبات... أريد أن

أكون من يذيب الثلج ومن يطلق سراح مشاعرك المشتعلة
الحارقة.

ارتجفت ريبا... تنظر إلى ما حولها منتعجة إخراجاً خشية أن
يرأها أحد. ولكنها التقت بعينيّ دوريس، فسارعت إلى النظر نحو

باول هامة:

- اصمت! ماذا نظن نفسك فاعلاً؟ تحدثني هكذا أمام هؤلاء
الناس جميعهم؟

- إذا كان هذا لا يعجبك فاعطني فرصة لأنكلم معك على

صاحت به: «لا».

- لن أبتعد عنك ريباً، ولن استسلم.

- ستضيق وقتك سدى.

لا أظن هذا... لقد شجعتني على ما أفعله الآن.

- لم أفعل هذا!!

- أوه... بلى... حين تعانقنا..

كسا احمرار شديد وجهها فاستدارت لتبتعد وجهها عنه،

فأكمل بتعمية:

- وهذا ما يثبت ارتياحي ويقطع الشك باليقين الرغبة موجودة

فيك. وأنت لا تحتاجين إلا إلى رجل مناسب يستطيع احترافها.

تمتحت حائقة:

- أو أنت ذاك الرجل؟

- نعم... أنا هو ولا يهمني كم يستغرق هذا من وقت، أو

ماذا سأفعل لأحصل عليك... حالما صعدت المسرح تلك الليلة

عرفت أن عليّ الحصول عليك. لقد أضمرت في المكان نيراناً،

ولم أستطع رفع نظري عنك... قد تنكرين هذا... ولكن ما تقدمه

للناس هو الأحلام، ولقد قدمت لي حلاً بكل تأكيد لذا لن أكتفي

حتى أجد هذا الجسد الجميل بين ذراعي. أريدك لي وستكونين

يوماً ملكاً لي.

حين صمت، رفعت نظرها إليه ببطء وقالت بصوت أجش من

الغضب:

- شكراً لتحذيري.

- لو كان لديك ذرة صدق، لاعترفت في قرارة ذاتك أنك غير

سعيدة، وكيف لك أن تكوني سعيدة؟ أنت لست حية أصلاً، بل لا
تبدين على قيد الحياة سوى على المسرح وما ذلك إلا لأنك في تلك
اللحظات فقط تجرئين على إطلاق رغباتك الدفينة.

- أعتقد، أنه لم يخطر ببالك أن كل نكهاتك هي بعيدة عن

الواقع؟

بدا المسرح على وجهه بعد سؤالها البارد:

- لا.

- إن لك مخيلة نشيطة سيد مايسون.

فابتسم بخيرية:

- أوه... نشيطة جداً.

ردت بحدة:

- لا أريد إلا أن تبقى بعيداً عني.

- هناك رنة بأس في لهجتك.

أجبرت نفسها على النظر إليه ثانية.

- مسرورة أنا لأنك لاحظت هذا، فقد بدأت أتساءل ماذا

أستطيع أن أقول لأنقل الرسالة إليك... سيد مايسون فلأبسط

الأمر لك أنا لست مهتمة بك... ولم يحدث أن قفزت إلى

أحضان أحد، ولن تكون أنت الاستثناء. هناك سيدات كثيرات

مستعدات لما تريد... فلماذا تضايقتني أنا؟ لماذا لا تتركني وشأني

وترضى بواقع أنني لا أريدك؟

استدارت عندما قالت آخر كلمة بغضب، وسارت نحو ربنه

وجولي قيل أن يستطيع منعها... وكانا مع جوشوا دانقرز في

الجانب الآخر من العرفة.

ابتسمت لها جولي!

- أنقضين وقتاً ممتعاً؟ هل أنت متعبة؟

هزت رأسها مبسمة فقالت جولي:

- أخشى أن تكون مضطربين إلى المغادرة سيد دانفروز... ربا

بحاجة إلى الراحة.

- متعبة؟ تبدين منهكة! أنت تجهدها يا عزيزي ريتيه..

- ستحظي باجازة قريباً..

قالت جولي:

- هذه أنباء جديدة لي. متى قررت هذا؟

سأله جوشوا:

- هل ستصحبها إلى مكان مميز؟ إنها بحاجة للهدوء ولأسابيع

تقضيها تحت أشعة الشمس.

ابتسمت ربا:

- يبدو هذا رائعاً.

- لدي قبلا في برمودا... أقصدها أنا وريتيا للهرب من كل

شيء. فإذا أردت مكاناً خاصاً حقاً، فاستخدم منزلي الذي له

شاطيء خاص، يبعدك عن المعجبين وملاحقتهم. سأتصل بك

عزيزي... سأتصل.

وربت على كتف ريتيه.

فيما كانوا منطلقين بالسيارة في شوارع المدينة الصامتة قال

ريتيه:

- لم أتل وعوداً من الجشع المعجوز، لاحظتما هذا... أسأله

شروطاً أفضل لربا فيعرض علينا القبلا في برمودا.

قالت ربا:

- إنها حفلة عشاء على أية حال... فماذا كنت تتوقع؟

- كنت أمل أن يعترف بأن العقد لم يعد صالحاً.

كانت جولي قد خلعت حذاءها لتدلك قدميها فقالت:

- ما أشد تفاؤلك! قلت لك إنك ستضجع وقتك معه. فالعقد

عقد ولا تتوقع أن تتخلص منه. أنا نعبة حتى الموت! لاحظت أن

باول مايسون حشرك مرة أخرى.

التفتت إليها ربا:

- لم أستطع التخلص منه.

- إنه ثري مقرف، فهو لا يتسلم أبداً.

ارتجفت ربا:

- لا.

- لقد فضح لنا جوشوا الأمر الليلة... قال إن مايسون طلب

منه دعوته، فعلمى ما يظهر أنه ذكر أمامه أنك مدعوة فطلب منه

على الفور أن يسمح له بالحضور.

قال ريتيه:

- هناك ما يفزعني في هذا الرجل. دانفروز سيء نعم لكن

مايسون أسوأ منه بكثير، وسأكون ملعوناً إن لم ألزم دانفروز بعرضه

ذاك المتعلق بالقبلا. أراهن أنه لا يتوقع مني القبول.

تمتمت جولي متلعمة:

- لا أستغرب أن يقول الناس إن المرأة هي النصف الأفضل.

- ومن يقول هذا؟ النساء، بكل تأكيد.

كانت ربا خائفة لأنها منذ الآن فصاعداً ستجد باول مايسون

أمامها أينما حلت ولكنها في الأسبوع التالي لم تشاهده إطلاقاً لذا

تمكنت من العمل بدون أن يقاطعها أحد. ولكنها لسبب غريب

وجدت أن العمل لم يعد ينسبها ويسلبها كما كان يحدث في

السنوات الأخيرة. . . غير أنها رغم ذلك رمت نفسها فيه بتصميم،
ولكن غناها اقتضت إلى شرارته العادية فعلق رينيه على هذا مقطباً.
كانت جولي كذلك على غير عاداتها. وصارحت ربا رينيه
متسائلة عما أصاب جولي.

- ماذا بها؟ لم لاحظ شيئاً. . . عمّ تتحدثين؟ . . . كانت تشكو
من صداع بسيط هذا الصباح. . . هذا كل شيء.

ذلك المساء عادت جولي إلى نشاطها وحيويتها في الحديث
فقال رينيه من مزاحها كالعادة. لكن ربا مع ذلك لاحظت أنها
كانت أحياناً تلوذ بصمت غريب، كانت تنتزع نفسها منه بشكل
ظاهر حالما ينظر إليها رينيه.

ثمة غطب ما، وهو إما جسدي أو نفسي له تأثير جسدي.
ففي الصباح التالي شاهدتها تسير في الحديقة شاحية ووجها متوتر
تظهر عليه التجاعيد. فلحقت بها إلى الخارج تحت شمس الربيع،
تدفع ابتسامة هادئة إلى وجهها:

- مرحباً. . . مشغولة؟

- أحب أن أعمل في الحديقة أحياناً فذلك يسيبني بعض
الأفكار.

- أية أفكار؟

تظاهرت ربا أنها تنظر إلى الورود ولكنها في الوقت ذاته كانت
ترقب بشوق. أخيراً استدارت إليها نسأل بحدة:

- لماذا لا تخبريني ما بك جولي؟

قففت جولي مذعورة، وتظاهرت بالضحك:

- ماذا؟

- ثمة غطب ما. . . أعرف هذا. . . هل له علاقة بالعمل؟

ضحكت جولي بطريقة غريبة:

- لا.

- إذن ماذا؟ مريضة؟ أتخمين بشيء؟

- ترددت جولي. . . فتوسلت ربا إليها.

- أخبريني. . . أنت تقلقيني!

- أصبحنا التتين، فأنا لم أشأ أن أفلقك. . . كنت سأغلب على

الأمر قريباً، فأنا لم استفق بعد من الصدمة.

- أية صدمة؟

خلعت جولي قفازات العمل بيضاء ووضعتها في وعاء أمامها

ثم استدارت لتسير نحو الجدار المنخفض الذي يفصل الحديقة عن

المرجة، ثم يلتف نحو الشرفة على جانب المنزل، ولحقت بها

ربا. وقالت جولي فجأة:

- أنا حامل.

فغرت ربا فاهها من أثر الدهشة وعدم التصديق:

- ماذا؟

- حامل! ولا ألومك لأنك لم تصدقي، فقد شعرت بما

تشعرين ولم أصدق.

نظرت إليها ربا بعينين متسعيتين من الاثارة:

- جولي. . . أنت تمزحين؟

- مرحي لا يصل إلى هذا المدى. . .

- لكن أليس سعيدة؟ ألا تريدان الطفل؟ ظنتك لا تجبين،

ولم أشأ قط أن أسألك لتلا أزعجك.

- لست أنا من لا تحمل. . . فالخطأ في رينيه.

- ظنته يحب الأطفال!

- كان صريحاً معي منذ البداية .. لا يريد أطفالاً، فهم يربكون الحياة.

- لكن أنت .. لا تريدین طفلاً جولي.

- أنا ؟ أنا في الأربعين من عمري وقد تجاوزت هذه المرحلة.

- لو تجاوزتها لما حملت.

فضحكت جولي على مضض.

- تعرفين ما أعني .. فكري في الإزعاج، طعام الطفل، وحفاضاته وذلك البكاء المرعب، خاصة في منتصف الليل. وقد اضطررت للتوقف عن العمل .. ولا أستطيع تصور نفسي أمًا.

- أما أنا فأراك أمًا رائعة .. وإن عجزت عن مواجهة الصراخ والتغيب للطفل استاجري مربية، فلديكما المال الكافي.

تولت جولي:

- لا تكوني منطوية إلى هذا الحد فأنا سأحس بالفراغ الشديد حتى ذاك اليوم.

- أفهم من هذا أنك لم تخبري رينيه بعد؟

- لا أستطيع مواجهته .. لا أستطيع تصور ردة فعله. نحن على وفاق في وضعنا الحالي وأقلق مما هو قادم.

- ولماذا القلق؟

- مضت خمس عشرة سنة، لم يكن فيها أحد سوانا .. فماذا سيحدث لزوجنا حين يأتي شخص ثالث؟

فكرت ربا قليلاً:

- كنت معكما في السنوات الخمس الماضية، ولم يؤثر هذا في زواجكما.

- هنا مختلف. فأنت لم تزعجينا البتة لأنك سهلة المعشر،

وهناك أمر آخر يقلقني فإن لم تنجح في معالجة أمر طفل فقد تفصل.

- أعتقد أن رينيه سيغير فرحاً.

- لبت عندي إيمانك الطفولي!

تابعنا المسير قرب الجدار، ربا تمرر يدها فوق حجارته الباردة عابسة. لقد وجدت ردة فعل جولي أمام حملها مزعجة ومكثرة. بدأ شحورر أسود يقني على غصن مرتفع، فراقبه ربا بعينين جامدتين، وأحس بالبرود، مع أن الشمس كانت شديدة الحرارة بحيث أدفأت الهواء.

سألت ربا وظهرها إلى جولي، بصوت متكدر:

- ألم تفكري في الطفل ..؟ إنه قادم .. أحببت هذا أم لا .. وسيحتاج إلى حبك.

بقيت جولي صامتة، واقفة مسرمة مكانها وحينما استدارت ربا نحوها شاهدتها عابسة، ثم قالت ببطء:

- لقد نسيت .. هاي .. يا لغباتي! كان يجب أن أفكر في مشاركت ربا .. أرجوك لا تحزني! هل دمرت لك أحلامك؟

ردت ربا بخشونة:

- ليس لدي أحلام، فلا تأبه لي .. رينيه رجل ناجح والطفل عادة عاجز .. لذا عليكما أن تحياه.

لم تأل ربا جهداً في منع الألم من دخول صوتها لكن جولي انتهت لهذا.

- ربا أنا لن أتخلى عن الطفل غير أنني أندب حظي فقط .. فلا تهتمي .. هذا الطفل سيحصل على أفضل عناية كما تعرفين.

ردت ربا بجديّة:

- إن الحب هو كل ما يحتاج إليه

هزت جولي رأسها، وارتجفت:

- أخذ الهواء يبرد... فلنعد.

وبينما هما عائدتان إلى المنزل، سألتها جولي:

- هل فكرت مرة في البحث عن أمك؟

- لا... لم أفكر في هذا، ولا أريد معرفتها. لقد تركتني

لأموت... فما حاجتي إلى معرفة المزيد؟ فمن ذا الذي تسول له
نفسه أن يفعل فعلها؟

- ربما لم تكن هي... ربما شخص آخر فعل هذا... أعني

حين تلد المرأة، لا يمكن لها أن تختار ذلك الوقت لتسير به في
الشوارع... أليس كذلك؟

- ولكنها عرفت بدون شك، فيجب أن توافق أولاً. ولولا

موافقتها لطالبت بي حين نشر الأمر في الصحف. قبل لي أن الخبر
نشر في الصفحات الأولى...

وضحكت بغضب.

- كنت بارزة في الأخبار منذ أن ولدت، ولكن لا تحدني بهذا

الحديث أحداً.

ردت بسرعة:

- بالطبع لا... لكن أتعلمين، ستكون دعابة كبيرة لك... يا

لهذه القصة!

- لن أسامح أي إنسان يسرب هذا الخبر إلى الصحف!

- لن نسزبه ولكن ألا تشعرين بالفضول على كل الأحوال؟ قد

تشعرين بالراحة لو عرفت الحقيقة.

وقفت ربا جامدة دون حراك... وأدارت وجهها شاحباً كوجوه

الموتى إلى جولي.

- لا تظلمي مني التعاطف مع شخص حاول قتلي وعمري لا

يتجاوز الساعات فأنا لا أكن لأمي سوى الكراهية والاحترار ولا

أظنها معذورة فيما فعلت.

حاولت جولي أن تجادل، لكنها عدلت عن رأيها وصمتت

متهددة:

- أفهم تماماً حقيقة شعورك.

- أتفهمين؟ إذن لا تحدني عن طفلك وكأنه ليس سوى مبعث

إزعاج ويؤلمني أن أسمعك تتكلمين عنه بهذه الطريقة.

فسألته حائقة:

- هل أحست بانني أتقياً كل صباح في الأسبوع الماضي. أنا

مضطرة لأخبار ربنه قريباً، عاجلاً أم آجلاً فببئسلكه الفضول إذا

أسرعت في كل مرة إلى الحمام وبدي على فمي

ضحكت ربا:

- اوه... مكينة جولي... أنا آسفة... هل الأمر بهذا

السوء؟

- إنه ليس بترهفة، فأنا في الأربعين... ولن يكون الأمر بالنسبة

لي مرحباً.

- هل ذهبت إلى الطبيب؟

لم تلاحظ ربا كم كان صوتها مرتفعاً، حين ظهر ربنه على

باب مكينة.

- تذهب إلى الطبيب؟ وما الأمر؟

التفتت جولي إلى ربا ساخرة:

- هل تريدن مذبهاعاً؟ أئن توغبي في اذاعة الخبر للجوار

صاح رينيه:

- ما الذي يجري هنا؟ أنا أحاول أن أصنع... فإخفنا صوتيكما.

ودخل إلى مكتبه ثانية، لكنه عاد يظل برأسه:

- لماذا أنت بحاجة إلى طبيب على أية حال؟ أنت فعلاً تبدين هشة كالسكوت... هل هي اضطرابات نسائية مرة أخرى؟

سألت جولي، دون توجيه السؤال إلى أحد، ووجهها محمر:

- إنه مهم ويفكر في... أليس كذلك؟

هز كتفيه بلا اكتراث:

- لا تكرمي نفسك على قول ما لا تريدان فأنا على كل

الأحوال لا أعرف شيئاً عن شؤون النساء.

دفعته جولي إلى المكتب ولحقت به قائلاً:

- حسناً... ربما سأرسم لك رسماً توضيحياً.

وأقفلت الباب وراءهما، وما هي إلا لحظات حتى قفزت رينا

من مكانها حين صاح رينيه بصوت حاد مرتفع لا حدود له.

وفهمت أن جولي... أخبرته!

• • •

٦ - الهجر أوله ألم

رأت رينا رينيه بعد الظهر وقد أخذ الذهول منه كل ما أخذ. كان شعره أشعث كأنه أمضى طوال النهار يمزقه بكلتا يديه... حدجها بعينين زائغتين ثم نهالك على كرمي في غرفة الجلوس.

- لا أستطيع الاستفاقة من الصدمة!

- أأنت فرحاً؟

- فرحاً رينا... لا أكاد أصدقني أدني! هل حقاً أن جولي سترزق

طفلاً بعد خمس عشرة سنة؟ أظن الأمر جميلاً!

تأوه رينيه: لن تعود الحياة إلى ما كانت عليه؟

- لكن فكر في السعادة التي ستعمرك!

- اسمعي... أعرف ما سيؤول إليه الحال عند قدوم واند صغير

إلى المنزل... سينقلب المنزل رأساً على عقب وسيكون الطفل

مصدر جلبه وضوضاء ومحور اهتمام وأما ما عداه فيستحيل رماداً

تدروه الريح.

ضحكت رينا متسائلة عما إذا كان رينيه يغار من الطفل القادم.

لكنها حاولت، دون جدوى، أن تطرد من رأسها ما راودها من

تهبّات ولو كانت مصية في بعضها.

لقد استأثر رينيه باهتمام جولي طوال خمسة عشر عاماً لم يكن

له فيها منازع، وما هو ذا الطفل قادم أفتراه يتتبع منه مكانته في قلب

جولي؟

وضع أصابعه على وجهه يصيح من خلفها:

- سيتقول علينا الناس الأقاويل ولا سيما أن قد بلغنا من العمر ما بلغنا يقولون زوجين أحقين.

ردت مرحة: إنك ستصبح محط أنظار الرجال.

- أب في الخامسة والأربعين.

أحست به ينظر إليها من خلال أصابعه... ثم اعترف:

- أعتقد أن الأمر ليس سيئاً.

- سيحسك الجميع وسيجعلك وجود طفل في المنزل نحس بأنك أصغر عمراً.

- نؤس عائلة في مثل عمرنا؟ هل أنت مجنونة؟

ابتسمت:

- إنه لرائع! سجل اسمي على لائحة الميراث... أرى نفسي خالة.

صمت رينه دقائق... ثم قال:

- ما زلت أفكر في طريقة أثير بها الموضوع بين أصدقائي.

- أحضر علية من أفخر أنواع السيكار وقدم لكل واحد منهم سيكاراً، ولا تحاول الاعتذار رينه... بل تفاخر!

ضحك وأنزل يديه عن وجهه:

- لديك الآن شيء من الحق، ولكن تصوري وجوههم حين يعلمون.

سخرت منه:

- سيحسن هذا صورتك أمام الجميع إلى ما لا نهاية... لا شيء في الكون أهم من أن تصبح أباً.

لكنه لم يكن يستمع، بل أخذ يحدث نفسه:

- أتساءل عما سيكون، أوّد لو يكون صيياً.

- حسناً.

- لست متعصباً... لكن يجب أن أقول إنني لن أمتنع لو كان لي ولد يحمل عني حملي بعد التقاعد... قانا ناجح وهو سيرث يوماً

وكالة صغيرة رائحة.

هفتت ساخرة:

- يا باني الامبراطوريات!

أضاف ضاحكاً:

- أظن أنني سأعتاد على مثل هذه النكتة.

- لا تسمح لأحد بأن يلقى نكتة بل اخترعها أنت فأفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم.

- أوه... سأفعل. لكن هل تظنين أن جولي ستقوى على

الحمل؟

- أتمنى ألا تلقى مشقة ووهناً في حملها ولا سيما أنها كبرت في العمر.

- إنها في الأربعين؟ وليس هذا العمر عمر الشيوخة. كثيرات

هن النساء اللواتي حملن في الأربعين أتعرفين ماذا سأفعل؟ سأخاير شقيقتي أدبت الآن وأخبرها.

- أسأل جولي أولاً.

ولكنها كانت تكلم غرفة فارغة، فقد خفّ رينه إلى مكتبه دون أن يسمعها.

في اليوم التالي قالت جولي متذمرة:

- لا أصدق هذا! إنه يتحدث في الهاتف بلا توقف تقريباً، ويمضي هناك ساعات. يدعشني لأنه لم يتصل بعد بالبيت الأبيض.

ضحكت ربا:

- إنه سعيد بنفسه. استيقظ قبل انبلاج الفجر... أليس كذلك؟

- وأخذ يقفز في المنزل كالشبانزي... لم يلاحظ حتى أنني
نقيات مرة أخرى.
- ألم تسألني الطبيب عن هذا الغثيان الصباحي؟ إلا يمكن
توقيفه؟

- أوه... لقد سألتك وإلا كيف عرفت بحملي؟ أتعلمين ما ظننت
في البداية؟ كان لدي إحساس رهيب أن بي مرضاً قاتلاً... ولم
يخطر على بالي قط أنني قد أكون حاملاً. وحين استجمعت شجاعتي
للذهاب إلى الطبيب، أجرى لي بعض الفحوصات، وحين أخبرني
كان يتسم ابتسامة الأبله، ولم أصدق في البداية. عندما سألتك عن
الغثيان الصباحي أشار علي أن أزم الفراش وأتناول البسكويت
الجاف قبل النهوض من السرير.
- ألم يتفجع هذا؟

- لم يتفجع إلى الآن، ثم إنني أكره البسكويت الجاف!
- مسكينة جولي!

- لا أرى في الأمر ما يضحك. أظنني كنت سأقوى علي تحمّل
الأمر أكثر فيما لو فزع رينيه مثلي كما كنت أتوقع. ولكن بعد
صرخته المرعبة الأولى، بدأ يتمتع بنفسه، وهذا ما جعلني أشعل
غضباً! لا أستطيع أن أكره طريقته في التفكير فهو يظن أن الفضل
يعود إليه وحده... ألا تلاحظين مقدار غضبك حينما تستاءين من
شيء وتبرك شخص ينظر إلى الدنيا بأسراق؟
- أنت بحاجة إلى عطلة.

- أصحنا التبتين، سأبأبحث معه هذا الأمر حين ينهي مخابرتة،
ما من أحد يراه إلا ويظن انه هو الحامل طفلاً؟
ضحكت ربا وهي تنظر إلى ساعتها.
- يجب أن أسرع لدي موعدي مع مايكل في الحادية عشر.

أتعلمين لست سعيدة بهذه الموسيقى الجديدة!
- إنها سريعة الرفع بالنسبة لك.
- سريعة جداً... مايكل يقول لا. ولكنه ليس من سيغنيها بكاد
لساني يلتوي أحياناً من جراء هذه النغمات.

توجهت إلى المدينة بسيارتها البورش الحمراء، وأوقفتها في
موقف تحت الأرض قرب مكتب مايكل الذي وجدته في مزاج معقد
فأنصت وقتاً طويلاً في اتعابه بأنها لن تستطيع تأدية الأغاني بالطريقة
التي يريدتها. أخيراً... اقتنع علي مضطرب. فوقفت لتذهب وقال
مقترحاً:

- نتناول الغداء؟

ترددت قليلاً، ثم ابتسمت.

- شكراً...!

ذهبا إلى مطعم صيتي صغير، أكلت لها مايكل أنه يظهر
أفضل الأطعمة الصلبة في لوس أنجلوس كلها. كان مايكل
معروفاً هناك، فاستقبله المالك بالترحاب، وما إن مضى الرجل حتى
غرقا في الحديث عن أنواع الأطعمة اللذيذة التي سيطلبونها.
أخذت ربا تنظر إلى ما حولها في المطعم المكتظ، فالتفتت
إتسامة أعادت نظرها، ثم ابتسمت عندما تعرضت إلى الشاب الأشقر
ذي العينين الزرقاوين. وقف الشاب ليتقدم إليها وقال وهو يقبل
خدها:

- مفاجأة!

- مرحباً ريكبي ماذا تفعل في لوس أنجلوس؟ ظننتك تعيش في
الكلتر؟!

- أجل... وأنا هنا لأسجل بعض الأسطوانات. سمعت أنك
أقمت حفلة كبيرة تالت نجاحاً عظيماً.

- أجل . . . بيعت كل التذاكر .

صافح مايكل وجلس معها .

- لا أستطيع البقاء ، فوكيلي معي ولو غبت عن ناظره هنيهة لباعني في سوق العبيد . كيف حالك مايكل ؟ كيف حال رينيه ؟

كان ريكي يعمل مع وكالة رينيه ولكن بعد سفره قطع علاقته معه ولم تعد ربا تراه منذ ذلك الوقت . وقال له مايكل مبتسماً :

- سترزق جولي طفلاً .

ضحك وهو لا يكاد يصدق :

- لا تمزح !

- صدقني !

- من يتصور هذا ؟ لا بد أن الخبر صعبه . . هل هما سعيدان ؟

قال مايكل :

- يكاد رينيه يطير فرحاً .

التفت إلى ربا بفضول .

- لكن كيف نشعر جولي ؟ لا أستطيع تصورها أما ولا أتصور رينيه أباً ، لم يبدوا لي قط بحاجة إلى أحد . أنفهمين ما أعني ؟

- إن بعض الناس من النوع العائلي . . . أما رينيه وجولي فليسا كذلك .

التفت مايكل إلى ريكي :

- البومك الجديد رائع . خاصة أغانيك ، ما من أحد يغنيها مثل

غنائك ! كيف حالك في انكلترا ؟

- عظيم .

أرجع شعره الأشقر المنموج وراء رأسه وانسم :

- هاي . . هل الاشاعة صحيحة ؟ هل سيشتري مايسون شركة

تسجيلات «تي في ريكوردز» ؟ .

انقبضت ربا ، وزالت البسمة عن ثغرها .

- أين سمعت هذا ؟

- من وكيلي . . إنه يعرف كل شيء . أنت متعاقدة مع «تي في ريكوردز» - ربا . . أليس كذلك ؟ هل سمعت شيئاً ؟

تبادل مايكل وريا النظرات . . ثم قالت ربا :

- لا . . كان باول مايسون في حفل عشاء جوشوا دانقرز منذ

أيام . وتساءل رينيه عما يفعل هناك .

- يقول وكيلي إن مايسون اشترى أسهم دانقرز في «تي في

ريكوردز» ويحاول شراء ما يكفي من الأسهم الأخرى لسيطر على الشركة .

تمتم مايكل مقطباً :

- يجب أن يعارضه أحدهم على هذا ، فلن تعجب الفكرة

الجميع . لماذا يرغب مايسون في شراء شركة أميركية . . على كل حال ؟

رد ريكي ساخراً :

- كلما ازدادت أملاكهم استكثروا واستزادوا .

- هذا صحيح .

وقف ريكي ، ينظر إلى الخلف نحو طاولة حيث يجلس وكيله

ناقد الصير يحدق إليهم .

- يجب أن أعود قبل أن يأكل الصحون من شدة غرقه . جميل أن

أراك ربا . . حين تنزل اسطوانة الحفلة إلى الأسواق بأسعار لشراتها .

- شاب طيب .

- جداً .

لكن ربا كانت قد نسيت ريكي لأن فكرها انشغل في ما سمعته
عن مكيدة مايسون مع شركة "تي في ريكوردز" متسائلة عما إذا كان
صحيحاً أن دالفرز باع أسهمه في الشركة وإن كان هذا صحيحاً فالام
يخطط مايسون؟ أمضت معظم الوقت تفكر في ذاتها وكادت لا
تذوق الطعام وكان ما بكل قد لاحظ شرودها فقال لها:

- حين نخرجين معي للغداء سأحمل معي كتاباً.

- اوه، أسفة ما بكل.. كان فكري مشغولاً بأشياء أخرى. لم

أكن رفيقة طيبة اليوم.. أليس كذلك؟

نظر إليها بمكر:

- هل يقلقك أمر باول مايسون وما يجري لشركة "تي في
ريكوردز"؟ لا يشغلن هذا الأمر رأسك الجميل. لأن ما حدث لن
يؤثر فيك. أنت مهمة لهم ولن يختلف الأمر بعد رحيل المالك
القديم.

ابتسمت ربا بأدب، لكن ما إن ابتعدت حتى انقبض وجهها.
أئن يختلف الأمر؟ إنه لا يعلم.. كانت تنوي التوجه بسيارتها إلى
باسادينا.. ولكن فكرها غرق في ما قاله ريكي وعليها أن تخلص إلى
نفسها.. وهكذا سارت في شوارع المدينة تحت شمس الربيع هائمة
على وجهها. لقد حرمت منذ سنوات من فرصة تشد فيها الراحة
والآن لا تدري ما هي فاعلة.

تمكنت مع نظارة سوداء، وغطاء رأس يخفي شعرها الأحمر
من السير في الشوارع المكتظة، بين المجموع المتسارعة بدون أن
يتعرف إليها أحد. لقد مضى زمن طويل لم تقف فيه للتفرج على
واجهة المحلات.. ووجدت الأمر مسلياً.

وصلت إلى أبواب الحديقة العامة الخارجية فدخلت إليها لتسير
تحت الأشجار بيضاء وبداها في جيبها ومغطفها يتدلى على جانبها

بحرية.. وتفكيرها يتقاد طوعاً وراء باول مايسون. لقد أقنعت
نفسها مرات ومرات أن تكف عن التفكير فيه.. ولكن حالما
تحاول نسيانه حتى يعود تفكيرها الغبي إلى الموضوع الذي كان
يستحوذ عليها منذ ساعة الغداء.

وهذا ما يبعث الاضطراب، ففي الماضي لم تكن تعبر اهتماماً
لمن يتودد إليها من الرجال.. أما باول مايسون فيقع في تفكيرها
وفي حياتها. منذ رأته واحساس بالقلق وعدم الراحة يساورها
ويهددها من مغبة ما سيحدث. ترى أهلك تهدد موجه إليها من
باول؟ لقد احتفظت بمشاعرها في تلاجع منذ زمن بعيد وما عادت
والثقة مما تشعر به نحوه، أخافتها شدة العواطف المتأججة التي
تعرف أنها قد تشتعل بقوة في نفسها إن لم تحولها بأمان إلى
الموسيقى..

ومع أنها حاولت جاهدة أن تنكر هذا حتى على نفسها إلا أنها لم
تستطع تجاهل واقع أن باول كان يملك القدرة على دق وتر في تلك
المشاعر المخيوة.. لقد هددها.. هدد الملاذ الأمن الذي كانت
تلتجئ إليه، كان وجوده قادراً على تمزيق جدران هذا الملاذ معرضاً
روحها لعوامل نفسية كانت تخشاها. حين تكون قدرة المرء على
الشعور متفجرة، يحتاج إلى من يحرسه من هذه المشاعر.. وربما
كانت تخاف من أي شخص أو أي شيء قد يطلق مشاعرها من
عقالها.

من المؤسف أن باول شاهدتها تلك الليلة تغني. في تلك الليلة
أعطت كل ما عندها وكان كيانها كله يطير تحت الأضواء.. لينهما
التقيا في اليوم التالي لأنه عندها كان سيرى امرأة هادئة، بازدة،
متحفظة وحذرة..

ماذا يحاول أن يفعل بشرائه الشركة؟ توقفت عن السير

وارتجفت، وراحت عينها تتأملان الحديقة الغناء: كانت ظلال الأشجار القائمة تظلل العمر المرصوف والرياح تحرك الأغصان. هل هذا محض صدفة؟ أم أنه اقتحام مقصود لحياتها؟ وقتت مسررة وبدأها في حبي معظنها. من السخف الارتياح بأن أي رجل مهما كان ثرياً قد يشري شركة ما ليشق طريقه بالقوة إلى حياة امرأة. ما من أحد قد يبلغ به الجنون هذا الحد!

ولكنها لا تستطيع نسيان الإصرار في عيني باول في حفلة دانقرز، ولا صوته المنخفض المخيف الذي حذرنا أنه يتوي الحصول عليها. ولكن في قسما وجهه وفي قوة ارادته ما جعلها تغلق فباول مايسون رجل يحصل دائماً على ما يريد ويرفض أن يرفضه أحد. إن الرجال الذين لم يفشلوا مرة في تحقيق أهدافهم، يصبحون أكثر تشدداً في تنفيذ مآربهم، فغورهم لا يسمح لهم بقبول أي رفض لأن هذا يشك فكرتهم الخاصة عن أنفسهم.

سارت في الحديقة حتى وصلت إلى الجانب الآخر. لم تكن تحس بالنعب لأن عقلها كان يعمل بقوة متجاهلاً جسدها ولكن حينما بدأ المطر يتساقط ذهلت واستفاقت من شرودها على انهمار المطر الذي اخترق غطاء شعرها ووصل إلى رأسها فهرعت تسمى إلى مدخل مكتب مجاور، وقتت تحت خيمة فضية معدنية والتفت بمعظنها ثم راحت تحمق في قطرات الماء المنهمرة بشدة. في هذا الوقت بالذات نهادت سيارة ضخمة بيضاء وقتت على مقربة منها.

راقت السائق بزل عن غير وعي فاتحاً مظلة قبل أن يدور حول السيارة إلى الباب الآخر. ولكن عينها اتسعتا من الرعب حين شاهدت أن الراكب الآخر هو باول.

التفتت إلى الجهة الأخرى، ونجمدت في مكانها عاجزة عن الركض خشية أن تلفت اتباهه. فكرت في أنها بهذا المعطف المبتل

وبغطاء الرأس الذي تضعه سبدو امرأة أخرى فتمتت ألا يلاحظ وجودها عندما يسير نحو المبنى.

سمعت باب السيارة يصفق ووقع أقدام تقرب فركزت اهتمامها على وقع الأقدام، وحين تجاوزتها أحست أنها ترتجف من الارتفاع، وكانت على وشك الانطلاق مبتعدة حين سمعت وقع الأقدام تتوقف. ذهبت في اللحظة التي قطع فيها باول المسافة الفاصلة بينهما ولكنه أمسك ذراعها ليدبرها إليه.

نظرت إلى وجهه غاضبة وهو يسأل:

- ماذا تفعلين هنا؟

قبل أن ترد، كان يمرر عينيه عليها:

- أنت مبتلة... تبدين كقطعة غارقة!

اشتدت أصابعه على ذراعها يدفعها نحو الباب إلى داخل المبنى.

- إليك عني! ماذا تظن أنك فاعل؟ أنا أنتظر شخصاً.

نظر إليها متجهماً:

- هنا؟ تحت المطر؟ من تنتظرين؟

لم تكن قد فكرت ملياً عندما أطلقت كذبتها عليه، فصمتت هنيهة قبل أن تقع على اسم، وكان الاسم الذي تفكر فيه منذ أن التفت:

- ريكسي أونيل.

صاقت عينها اللتان جالتا ببطء في الطريق، قبل أن تعودا إليها:

- لا أظنه قادماً. هيتك تدل على أنك انتظرته منذ مدة. جعلك

تنتظرين؟ اليس كذلك؟

أحست بدم الغضب يتصاعد إلى وجهها بسبب السخرية الكامنة

في سؤاله فردت بحدة:

- من الواضح، أنه وقع له أمر ما آخره.

- هذا واضح. يمكنك الصعود لتجفيف نفسك في مكتبي.

استدار سائراً إلى يهو المبنى، وربما تعدو خلفه عاجزة لاهته،

بحرها من معصمها.

وصاحت به:

- اسمع. . . سيتسائل ريكى عن مكان وجودي . . .

دفعها إلى المصعد:

- أصمتي . . .

أغلق الباب وصعد المصعد بصمت فاستندت ربا إلى جدار

المصعد تعض على شفتها، وعيناها مطأطئتان إلى الأرض. ولكنها

كانت تعلم أن باول يحدق إليها. مد يده إليها فقفزت عيناها في

الهواء مئة وخمسة وثمانين سنتمرا، نظرت إليها بإمعان وانزع المندبل

المبلل عن رأسها.

توقف المصعد وانفتح الباب بسرعة، فخرج باول وهو لا يزال

يمسك بمعصمها، ولكن ما أذهلها رؤية صف من الرجال المرئدين

البدلات السوداء، وعلى وجوههم بسمه ترحاب.

هز باول رأسه لهم وقال:

- سأكون معكم بعد ربع ساعة. أرجو الانتظار في قاعة

الاجتماعات.

لم ينتظر الرد. بل استدار ليتعد جارا ربا معه، أما الرجال

فراحوا يحدقون إليهما بصمت وكان على رؤوسهم الطير . . . ماذا

يفكرون بالله عليهم؟ أتعرف إليها أحدهم؟

دفع باول باباً يفتح فوجدت ربا نفسها في غرفة ذات أثاث

جميل بدت جناحاً خاصاً متصلاً بقاعة الاجتماعات.

تركها باول وسار على سجادة عاجية قائلاً:

- اخلمي معطفك. . . إنه يرشح ماء فوق السجادة.

ردت بعبوس:

- ألا تكف عن إصدار الأوامر؟

تجاهلها تماماً:

- أنت بحاجة إلى شراب ساخن. . . لا تقفي هناك لأنك لن

تذهبي إلى مكان آخر.

- ومن يقول إنني لن أذهب؟

- أنا أقول.

حدقت إلى الخط الطويل الأنيق المنساب على ظهر بذلته

السوداء، وهو يصب فتحاتين من الشاي من إبريق كهربائي قابع على

طاولة في زاوية الغرفة، وأحست بكرهها له. فما إن تصبغ معه في

مكان واحد حتى تحسن بالجو يتكهرب ولعل أكثر ما يخيفها أن يشمر

بتأثيره فيها.

استدار برشاقة إليها وصاح أمراً:

- اخلمي هذا المعطف المبلل وتعالى إلى هنا.

جعلتها لهجته تنتفض امتعاضاً وكانت ستجادل، لولا ذلك

التعبير المنذر الذي أطل من أعماق عينيه وعلمت أنها إن جادلت لن

تتمتع بنتائج جدالها.

بعد صمت قصير حركت يديها، وطفقت تخلع معطفها.

فتمتم بصوت منخفض راض:

- حكيمة جداً.

وضعت ربا معطفها على ظهر كرسي قرب الباب، ثم تقدمت

لتنضم إليه على أريكة عصرية طويلة كانت في وسط الغرفة.

حين توقفت قرب الأريكة، قال:

- اجلسي.

أطاعته على مريض، ممررة بدأ مرتجفة في شعرها المتلبد،
فالمطر اخترق متديها ووصل إلى شعرها.

أعطاهما يول فنجانها، فقالت محتجة:

- لا أحب الشاي كثيراً.

- أنت تشعرين بالبرد لذا الحاجة ملحة إلى شراب ساخن

استند إلى ظهر الأريكة ورأسه الأسود مستند إلى يده، وأحست

ربما بركبته تلامس ركبتيها فردتها بحدة بعيداً.

- اشربي الشاي ساخناً!

أحرق الشاي الساخن حنجرتها ولكن لم يمض وقت حتى

أحست بحرارته تسري في جسمها. نظرت إلى ما حولها في الغرفة

وسألت:

- ما هذا المكان؟

- جزء من جناح رئيس مجلس الإدارة، نحن نستقبل ضيوفنا هنا

عادة... ماذا كنت تفعلين في الخارج... حقاً؟ ولا تقولي إنك كنت

ستقابلين ريكي أونيل في الشارع... فالعقل لا يتقبل هذه الحجة

الضعيفة فمن ضرور الخيال أن تواعديه في مكان كهذا.

ارتشفت كوبها ثم وضعت الفئحان على طاولة قربها.

- فيما كنت أتشى تساقط المطر فخرجت التجرى إلى المظلة

المعدنية التي رأيتها أمام الباب.

- من المصادفة حقاً أن نخشاري مدخل مكتب شركتي

الرئيسي... أليس كذلك؟

- مجرد مصادفة!

قاطعها ساخراً وفمه يلتوي بانسامة:

- صحيح؟

- نعم.

ولكنها نساءت عما إذا كانت قدماها قد حملتها إلى هناك
مصادفة أم أن عقلها الباطني دلها على وجهة المسير فقد كان باول
مايسون يستحوذ على أفكارها قبل ذلك.

قال لها بعد ضمت قصير.

- لدي أخبار لك... من المتوقع أن أصبح رئيس مجلس إدارة

شركة «تي في ريكوردز».

استمعت إليه بجداء قفي لهجته تهديد لها، كان كمن يتوقع أن

بهزها هذا التصريح لذا راقبها مراقبة الصقر ليري ردة فعلها. غير

أنها كانت ممتة للإندار الذي أطلقه ويكي أمامها... فلولاه لصدمت

وعوضاً عن هذا نظرت إليه نظرة باردة... وقالت ساخرة:

- حقاً؟ لم أكن أعرف أن لك علاقة بالشركة أبداً.

رأت أن عيناه قستا وكأن ردها الهادي أزعجه:

- اشتريت منذ فترة وجيزة كمية ضخمة من الأسهم من السيد

دانفرز.

- أووه... ولماذا هذا الاهتمام؟

- ألا تعرفين السبب؟

احمر وجهها فجأة:

- إذا كنت نظن أن بإمكانك استخدام هذا لإرهابي... فأنت

مخطيء. سيد مايسون، وأعلم أنك قد ضيعت مالك باستثمار

خاسر...

ارتفع حاجبيه ساخراً.

- أنت تقدرين نفسك فوق قدرها عزيزتي ريا. هل تعتقدين حقاً

أنني قد أتجشم مثل هذا العناء كله لايتزك؟

أشاحت بوجهها عنه ولكنها سمعته يضحك بصوت منخفض:

- آسف لتبديد أوهامك. لقد جئت إلى هنا لهدف واحد، هو

إنعام التفاوض مع جوشوا دانفرز . واعلمي أن هذه الصفقة كانت
قيد التفاوض منذ أسابيع . أنت تسرعين في استنتاجات خاطئة،
أليس كذلك؟

- لم أسرع إلى الاستنتاج بل أوحيت لي أنت بذلك متعمداً .
دنا منها ليمسك إحدى عضلات شعرها بين أصابعه .

- أي انطباع أعطيتك؟

دفعت يده بعيداً عن شعرها :

- أترك شعري !

- إن لونه لمميز ، نار وذهب . كلما حركت رأسك ، لمع .

أخذ يحرك يده فوق شعرها ، ثم نظر إلى عينيها مبتسماً :

- اشتريت الشركة لأسباب عملية تجارية بحتة ، لكن هذا بالطبع
يعني أن لدي الآن أسباب خاصة لأهتم بك .

- لا أريد أن تهتم بي أو بعملتي !

- هذا مؤسف جداً . لأنني سأهتم . ولو كنت تعرفيني بعض
المعرفة ، لعلمت أن إطلاق التحذيرات جزافاً يثيرني ، واعلمي أنني إن
بدأت معركة أربحها عادة . وإن سألت أخيراً بذلك العديد من
الناس الذين خسروا أمامي .

لما تلاقت نظرتهما أحست برجفة تسري في ظهرها . وعندما
أمنت التفكير رأت أن تصميمه على ملاحقتها ، إنما سببه عدم قبوله
خسارة ما يريد .

وأردف بشرح لها :

- كانت الاحجيات دائماً تثيرني . وأنت أحجية معقدة ريا .

ضاقت حينئذ وهو ينظر إليها ، فالتكلمت مرتدة تحبس
أنفاسها . ثم تمتعت :

- قلت لك إنه لا يحق لك أن تلاحقني . فلماذا لا تبتعد عني ؟

- وأنا قلت لك . إنني لن أقول وداعاً .

وضع اللنجان من يده ثم أطبقت أصابعه على ذقنها ليرفعه
فشهقت متوترة وحاولت الخلاص من قبضته . ولكنه شد قبضته
أكثر فأكثر فيما ارتفعت اليد الأخرى لترجع كتبها إلى الوراء
تستدهما إلى الأريكة ، فصاحت :

- اتركني !

عندما ضربته على كتفه سمعته يضحك على مقاومتها الواهنة .

حدق إلى عينيها التجلاوين المدعورتين وقال ساخراً :

- لن أبتعد عنك تاركاً أمر حل لغزك لرجل آخر . أتدرك منذ الآن
إنذاراً عادلاً ، أنا صبور ولجوج وظالم لا أعرف الرحمة حين أريد
الحصول على غايتي .

ضاقت عيناه على قسماات وجهها الناعمة حتى استقرنا على
نفرها المرتجف . شهقت عندما تحرك رأسه إلى الأسفل ، وكانت
كلما اقترب منها تشعر بالوهن يتسلل إلى أطرافها . وقبل أن يصل
إليها أحست بجفنيها بطبقان بضعف . ثم انكلمت قبضتها على
كتفيه ، وترنح جسدها مقترباً منه قليلاً .

خفق قلبها بسعادة مؤلمة ، ولكن لمسته كانت مختصرة ، خفيفة
كلمسة فراشة . فسرعان ما ابتعد عنها ولما فتحت عينيها دهشة
وجدته يقف قرب الأريكة والسخرية تطل من قسمااته جميعها .
وقال لها برضى :

- لدي اجتماع مجلس إدارة . وأخشى أنني مضطر لتركك .

هل أطلب لك سيارة تقلك إلى منزلك ؟

كانت ريا محطمة مشوشة البال فجلست تحديق إليه . فضحك
وهو يتجه إلى الباب .

- سأقول لهم أن يرسلوا لك سيارة . وداعاً مؤقتاً ريا !

وخرج مغلقاً الباب وراءه.. أما هي فلم تستطع الحراك عدة دقائق.. كان الغضب مستعراً في داخلها. لقد هزىء بها فامتلكتها رغبة كادت تدفعها إلى رمي فنجانها مع صحنة إلى الباب.

كانت لا تزال جالسة على الأريكة، تقاوم غضبها، حين تقدمت سكرتيرة أنيقة توندي بذلة أخيرتها بأدب أن السيارة تنتظرها لتنقلها إلى حيث تريد، فارتدت معطفها وخرجت إلى المصعد مبسمة ابتسامة مصطنعة جامدة. وأوصلتها السيارة إلى الموقف وهناك استقلت سيارتها وعادت بها إلى باسدينا بسرعة لو شاهدها جولي وريبيه لذهرا. لكنها لم تكن تعي مدى سرعتها، لأن عقلها كان يردد ما قاله لها مراراً ومراراً باول، وكان غضبها يرسل شرارات كلما فكرت في اللحظة التي بدأت فيها تضعف وتلين أمام صاحب ذلك القم الجميل الذي تركها ضاحكاً..

داست بقوة على دواسة السرعة، فطارت السيارة متجاوزة صفاً طويلاً من السيارات البطيئة، التي نظر إليها سائقوها شزراً غير أنها لم تلاحظ أحداً منهم، إذ استحوذت على فكرها مشاعر عارمة بالغضب والإذلال.

لماذا فعل بها هذا؟

أحست بمرارة التبد الحارة تكاد تلسع حلقها.

كانت ظلال التبد المرير طوال حياتها تلاحقها... إنه إحساس تشعر بحساسية مفرطة تجاهه وهذا الشعور هو الوحيد الذي يحطم ويخترق كل دفاعاتها ويدفعها نحو الجنون.

سيمضي وقت طويل قبل أن تستعيد رشدها مما فعله بول مايسون بها.

٧ - لن أعود طفلة النفق المظلم

نشر الخبر بعد يومين في جميع الصحف فأصيب رينيه بحالة توتر مثيرة وحاول أن يعرف ما إذا كانت سيطرة باول مايسون على الشركة أمراً حتماً أم شيئاً بالنسبة لعمل ريبا ومستقبلها. قال مفكراً بصوت مرتفع:

- السؤال هو... هل سيكون مستعداً للمفاوضة بشأن العقد؟

ونظر إلى ريبا نظرة سريعة ففهمت معنى نظرتة تلك، فقد كان يذكر الاهتمام البارز الذي أظهره مايسون بها، ويفكر كيف يستغله في التفاوض من أجل شروط أفضل.

وقف متثاقلاً ثم خرج بدون أن يزيد كلمة، فلحقت به نظرة جولي الفلقة... وسألت بدون أن توجه السؤال إلى أحد:

- ماذا ينوي أن يفعل الآن؟ وكيف سأتركه يدبر مكائده بنفسه؟ إن تركته يعتمد عن ناظري فلا يدري إلا الله وحده ما قد يتوصل إليه. انظري بعد خمسة عشر عاماً حملت طفلاً.

- وهل اعتدت على الفكرة الآن؟

- وهل لي خيار آخر؟

كانت ريبا على موعد لإجراء تمارين ذلك الصباح، فقررت جولي أن ترافقها لتسوق. ذهبتا إلى المدينة في سيارة ريبا وهناك لاحظت أن جولي تنظر باضطراب إلى أمهات كن يسجن أمامهن عربة أطفال... ثم تمتعت فجأة:

- أتعلمين ريبا... أريد هذا الطفل.

ابتسمت ريبا وقد علققت عينها بالطريق:

- بالطبع تريدته .

- لم أكن أعتقد - لم أكن أريده في البداية - ولكنني فيما بعد فكرت في أن هذه هي الفرصة الأخيرة لي وكانت هذه الفكرة السبب في تغيير كل شيء . وليس في قلبي من قلق إلا ما سأفعل بربيته ؟
- إنه سعيد بحملك !

- أوه .. أعرف هذا ، ولم أقصد ذلك ، لكنني كنت أساعده في كل شيء . ساعدته لبناء عمله من لا شيء . وهو لا يستطيع الحراك بدوني كما تعلمين . . . فكيف سيتصرف حينما لن أكون طوال النهار؟ سيكون كالولد الضائع .

- سيعناد على ذلك ، كما أنك أنت لن تتخلي عن كل شيء ، صحيح ؟

- كنت أفكر في هذا فوجدت أمامي سنوات طويلة حتى يلتحق الولد بمدرسة وقبل ذلك اليوم عليّ ألا أبتعد عن الطفل الذي لا أريد أن يقوم بتربيته أحد سواي فبعدما سأعاني من متاعب في سبيل إنجابها لن أرضى إلا بأن أحظى على السعادة في مراقبته بنمو .
ابتسمت ربا :

- وهذا ما يناسبك ولا أعتقدني أوافق على أمر كما أوافق على ما قلته ، فلو كنت مكانك لحدوت لحدوت .

تهددت جولي :

- لكن .. كيف سأزف الخبر إلى ربيته؟ يعتقد ربيته أنني سأستعين بحرية وأنني سأظل أعمل كما فعلت دائماً .

نصحتها ربا :

- لا تبلغه الأمر فجأة . بل اتركه يفهم ذلك تدريجياً . سأندهش إن لم يقترح هذا بنفسه عاجلاً أم آجلاً .

هزت جولي أنها سرح :

- إنه يحس بالتملك تجاه الطفل . ليلة أمس وهو مستلق في السرير ، أخذ يضع لائحة ، وظنته يكتب أسماء أغاني لك . لكن حين نظرت إليها ، أتعلمين ماذا وجدت؟ لائحة أسماء . كلها لضيان . ولو كان المولود أنثى لطلب باسترجاع ماله !

كان التعب قد أضى ربا حين عادت وجولي إلى المنزل مساء ، فقد كذت في عملها طوال اليوم وما ظهرها يؤلمها وقدماها تتأقلان ورأسها يضح . قالت لجولي باكتئاب :

- بُح صوتي . . لم أستطع الوصول إلى تلك النغمة المرتفعة . قلت لمايكل إنني لن أنجح ولكنه بصر على المحاولة . . لم هو عنيد إلى هذا الحد؟

- مايكل يحب الكمال . . ولا يحب الاعتراف بأنك تعجزين عن شيء .

- لا أمانع لو استطاع غناء نغمة واحدة بنفسه ، لكنه أسوأ ممن سمعته في حياتي .
ضحكت جولي .

- ليس أسوأ من ربيته في الحمام . إن صوته أشبه بماء يتدفق إلى مجرى «بالوعة» .

تمطت ربا ، ومدت ساقيها أثناء انتظارها صفاً طويلاً من السيارات المزدهمة المتوجهة إلى ديارها . تأوت «أحس أنني مبتة» .

عندما دخلت إلى غرفة الجلوس بعد نصف ساعة صعقت فقد وجدت باول يجلس متمدداً على الأريكة ، يراقبها بسخرية وهي واقفة تحديق إليه وكان ربيته يجلس قبالة ، ينظر إليه بمكر . تبعت جولي أعقاب ربا ومرت ربيته بنظرة متجهمة . قال باول بكسل :

- مساء الخير .

هزت ربا رأسها باقتضاب أما جولي فقالت:

- مساء الخير سيد مایسون... كيف حالك؟

ثم حولت بصرها إلى ربنه مبسمة بعدوية فائقة:

- هل لي أن أتحدث إليك حبيبي؟

انسم ربنه بنخيت:

- فيما بعد عزيزتي.

- هل لي بذلك حالاً... يا حبيبي الوسيم؟

وقف ربنه مكرهاً ينسم لباول ابتسامة مزيفة.

- عدراً باول...؟ سأعود حالاً.

ثم أقفلت جولي الباب وراءها مهدوء... وبعد ذلك تبادل باول

وربا النظرات بصمت ولكن لم يلبث أن وقف هو قائلاً:

- سأصحب لك فنجان شاي.

ردت متوترة وهي تهتم بالارتداد عنه:

- سأصعد لأستحم وأغير ملابسِي.

- أريد التحدث إليك.

لكنها تجاهلته وأكملت سيرها، فقال بصوت لاذع كالسوط:

- الآن!

فتوقفت مسترة... أما هو فتقدم إلى طاولة عليها إبريق شاي

وفنجانين فصب لها الشاي مع بعض الليمون... وعاد يقدم لها

الفنجان. كانت قد خلعت سترتها، فأمسكت الفنجان وجلست على

المقعد الذي أخلاه ربنه.

وقف باول أمام كرسيها وبداه في جيبه، ينظر إليها باهتمام:

- تبدين مرهقة!

نظرت إليه بعنف:

- شكراً لك...

وجدته ربا مشيراً للاضطراب بأناته وجاذبته... كانت تعرف

أنها متعبة، فوجهها شاحب وشعرها أشعث بفعل عبث الريح ولكنها

لن تكون مسرورة ممن سيقول لها هذا.

أكمل باول كلامه:

- كنت أقول لربننه إنك بحاجة إلى إجازة طويلة.

- ستكون لي هذه الإجازة قريباً.

- أجل... فني الأسبوع القادم مسافرين إلى برمودا.

التفت بعدها على الفنجان الساخن بدهشة، ونظرت إليه فاعرة

فأها.

- متى تقرر هذا؟ ومن قرره؟

- منذ عشر دقائق... وكنت أنا من قررت ذلك.

- اسمع الآن...

قاطعها مبسماً ابتسامة ساخرة:

- لا تجادلني... ستهيين، فإن لم تتوقفي عن العمل قريباً

وجدت نفسك يوماً منهاراً على الرصيف في الشارع... فلم أر قط

مرشحة للانهايار أكثر منك.

صاحت تحتج:

- أوه... لا تكن مضحكاً... لا أستطيع الذهاب... لذي

ارتباطات عديدة... وأمامي مواعيد كثيرة علي تسويتها. لا أستطيع

التراجع عنها هكذا.

- بل نستطيعين وستعلمين! ما عليك إلا تنفيذ ما يقال لك، أما

أمور الإلغاء وترتيب الأمور فأتريكيها لربننه.

- لن أفعل هذا! من نظن نفسك...

أكمل متجاهلاً احتجاجها:

- مستقيمين في فيللا جوشوا دانقرز.

- لن أتخلى عن كل شيء هكذا وأسرع في السر لا لسبب إلا
لأن جنابك طلب ذلك .

- لكن هذا ما ستعلمه بالضبط .

ردت بصوت يفتح من الغضب :

- أتعلم من أنت؟ أنت مجنون مغرور!

رد عليها بهدوء ثابت :

- مشاقرين السبت المقبل .

صاحت به وهي تتوق لرمي الفئجان بسائله الساخن على
وجهه :

- لن أسافر!

- ستبقى أسبوعين كاملين لن تفعلني فيهما سوى الاستلقاء على
الشاطئ والإصغاء إلى صوت الأمواج .

ابتسم لها ساخراً :

- أليست فكرة مغرية؟ أشعة الشمس والبحر والرمال . . .

- لا أستطيع إلغاء ارتباطاتي في هذه المهلة القصيرة . فليس هذا
بعدل للناس .

رد عليها بنعومة بمد شفقتين كادت لا تنفجر جان .

- ريبا . . .

ف نظرت إليه باهتمام :

- نعم؟

- اخبرني!

فتحت فمها لترد له الإهانة، وارتجفت بغضب حقيقي أمام
سلطته الهادئة، ولكن عينها أصطدمتا بعينه، فعضت شفقتها،

وصمتت، لا تجرؤ على قول شيء .

قال أخيراً برضى :

- هكذا أفضل!

- من أوحى إليك أنك قادر على السيطرة علي؟ أنا لست جزءاً
من أملاكك . . .

- لم تصبحي بعد .

- ولن أصبح أبداً، فلا تتحدث عن نفسك، وساعطل متى شئت أنا
ذلك .

- بل ستعطلين الآن قبل أن تنهاري!

فتحت ثغرها تهم بالرد ولكنه رفع يده :

- قبل أن تنفوهي بما يحرق طرف لسانك، دعيني أشير إلى أنك
من أملاك الشركة، ومن مصلحة التي في ريكوردز أن تتأكد من عدم
انتهيارك في الشهر القادم . كنت أتحدث إلى خادمتك . . .

- خادمتي؟

- ما اسمها؟ كاندي؟

- إندي؟ كان يجب أن أعرف أنها السبب! لديها فأر في عجبها
يقول إنني أبالغ في العمل . . . ولو أمعنا النظر لوجدنا أنها هي من
تريد فرصة لذا تستخدمني عذراً . . .

هز رأسه ببأس :

- يا الله . . . إنك حقاً أنثى بلهاء ضعيفة النظر!

نظرت إليه وعيناها الخضراوان تلمعان :

- لا تنعتني بهذه النعوت . ألا يكفي ما أعانيه في عملي!

- أنظرت يوماً إلى المرأة؟

- طبعاً، فمظهري جزء من عملي . . . ألا تعرف ذلك؟

تغيرت أسارير وجهه القاسي، وحلت محله سخرية رقيقة وقال
بصوت دافئ - بطيء - :

- أووه . . . أعرف هذا . . . فلم أفكر في أمر سواء منذ رأيتك .

تصاعد الاحمرار إلى وجهها، فوقت بحدة لتهرب، ولكنه أمسك خصرها، فقاومت ثم حدثت إليه:

- أبعد يديك عني! كم من المرات يجب أن أكرّر هذا القول؟

قاطعها وهو ينظر إلى وجهها الغاضب:

- عدت الآن على قيد الحياة لأنك تبدين في معظم الأوقات كمن داسته محدلة، لا يمكنك النضي يوماً بعد يوم باستخدام طاقتك كلها بدون شحنتها من جديد. ربا. أريد أن تعديني بأنك ستشدين الراحة مدة أسبوعين على الأقل.

وقفت في دائرة ذراعيه القوية الثابتة تتكرر وعيناها إلى الأسفل. اشتدت ذراعاه حولها وكأنه يود لو يهزها. ثم رفعت رأسها إليه نهزه. ما كان أشد رغبتها في مجادته، لكنها تعلم أنه على حق. سألتها: «موافقة»

ردت حردانة: «موافقة».

ولكنه لم يتركها، بل أحست بإحدى يديه تتحرك بنعومة على ظهرها، وكان الضغط الدافئ صريحاً. ثم قال مفكراً:

- فيك طفولة كبيرة، وهذه الطفولة كانت السبب في سيطرة مديرك على حياتك، وفي موافقتك على موقعك الحميم في منزله. لقد فعلت ما فعلت لأن ذلك يُشعرك بالأمان ويبعد عنك اليوم الشرير الذي قد تضطربن فيه لمواجهة الحياة كراشدة. يواجه معظمنا مثل هذا اليوم في مراهقته. لكنك تتهربين منه. ليس كذلك؟ مم تخافين؟ أخاتفة من الأذى؟

أبعدت ربا وجهها عن نظرنه وحينما أحست بأصابعه تتسلل ببطء من عنقها حتى أذنها ذعرت فلوت رأسها ثانية فوق صدره فتمتم:

- لن أؤذيك ربا.

ارتجفت غضباً إنما بإثارة لذيدة.

- ألا يعجبك هذا؟

وتمنت لو تستطيع بصدق أن تقول إنه لا يعجبها، ولكن ما ستقوله سيكون كذباً. إنه يعجبها، وتريد منه أن يشمر بمعانقتها فهي لم تسمح قط لأي كان بالاقتراب منها كما هو قريب منها الآن. لقد حاول رجال عدة الاقتراب منها ولكنهم عادوا فتراجعوا أمام نفورها البارد.

ولكن باول مايسون تابع التقدم، ولا تعرف ما تفعل أمامه. بل أنها لا تعرف ما تفعل بنفسها، كان جزء من عقلها يصير يعزم على أن هذا جنون. كانت في الماضي تكفي بما يعطيها عملها من مشاعر لذا وهبت كل ما تملكه من طاقة لبناء مستقبلها العملي، ولهذا لم تنظر إلى أحد البتة.

لكن الآن في عقلها جزءاً منهدراً. وهذا الجزء هو ما يزعجها كثيراً.

ارجع باول شعرها الأحمر إلى الوراء بيده، ولامس عينها بأصابعه، فأغمضتهما وأخذت تسحب أنفاسها بسرعة. تتم لها مجدداً:

- أنت تحملين الحياة على محمل الجهد أكثر مما يلزم وأن لك أن تتعلمي تسلية نفسك قليلاً ولعل هذا ما فاتك حتى الآن. وأنا مضطر إلى أن أعلمك كيف تتمتعين بالحياة.

وها هو يعلمها الآن. ولكن عليها أن تتوقف، ورغم قرارها ذلك لم تستطع أن تتحرك. استطاعت سماع نعمات قلبه تخفق بشدة خفقات رتبية عميقة وهذا الخفقان كان جزءاً من السحر الذي لفتها بخيوطه. ها أحاسيسها جميعها مركزة باهتمام عليه، أما تفكيرها فسقط في سبات عميق. وأما جسدها فتوتر، مترقباً.

حين انفتح الباب، التفتا معا بحدّة كلاهما متورد الوجه
مخطوف الأنفاس، مرتجفان من إحساس كل منهما بالآخر .
ودخلت جولي التي حطمت السحر وشتته . . . أما ربا فلم تستطع
البقاء في الغرفة أمام نظرة جولي المشبعة بالفضول، فأسرعت
تجاوزها بدون كلمة سعيًا إلى غرفتها التي شعرت فيها بالراحة.

رمت نفسها فوق السرير نصف باكية ونصف ضاحكة ممزقة بين
التسليّة وعقدة الذنب، تفكر كيف سمحت له بأن يغويها إلى هذا
الحد وكيف سمحت لنفسها بالتجاوب معه . في لحظة كانت
تجادله، وفي أخرى كانت في أحضانه.

غطت وجهها بيديها ودفنته في الوسادة . . وجه جولي! ماذا
تفكر جولي الآن؟ لقد وجدتها بين ذراعيه بعد كل الاحتجاجات
المدوية وبعد كل الادعاءات التي قالتها عنه . كان واضحاً عندما
دخلت جولي أنها لم تكن ضحية بين ذراعيه بل بدت غارقة في
أحاسيسها.

مضى عليها وقت طويل قبل أن تترك السرير، وتخلع ملابسها
لتنحجم . . استرخت أعصابها حالما استقرت في الماء الساخن
المعطر . أغمضت عينها تحاول نسيان تلك اللحظات بين ذراعيه،
ولكنها كانت تعلم أنها كلما تفاضت عن الذكرى عاد كل شيء
منسلاً بسرعة إلى خيالها وعقلها ولكنها تعجز إلا عن ذلك فلم
يحدث أن اختبرت مشاعر كهذه .

هو يعرف بالتأكيد كيف يغوي امرأة . . إنه خبير في هذا الحقل،
ولكن ما أن ينال ما يصبو إليه حتى يتبذرها، متخلياً عنها ستماً منها،
لينساها . صحيح أنها تتوق إلى أن يعطيها ما يستطيع من سعادة،
ولكنها تعرف تماماً أنها ستموت من الألم الذي سببلي هذه السعادة
المؤقتة . ستقتل نفسها لو أحبه ثم هجرها بعد أن يمل منها .

ثم . . ماذا قال لها على أية حال؟ لقد وعدتها بأن يعلمها كيف
تمرح وكيف تتمتع بالحياة . لكن ربا لا تريد أن تبدل طابعها وعلى
المرء أن ينظر إلى الحياة من منظاره الخاص . علمتها الحياة دروساً
مختلفة عن العيش، غير تلك التي يعرفها باول . قد تكون الحياة
بالنسبة له ملعباً أما بالنسبة لها فهي باردة . قاتمة، فارغة .

هذا هو الكابوس الذي كان يزعجها كلما عانت الضغط . في
الحلم ترى نفسها ضائعة، وحيدة، في لفق قاتم، مع علمها أن هناك
في مكان ما أرضاً مشوقة، تعجز عن الوصول إليها . لم تكن تحلم
بالوحوش أو بالأخطار المحدقة أو بفرغ الموت البارد بل كانت
تستيقظ طالبة النور والموسيقى والأصوات لتملأ فراغ نفسها المؤلم .

خرجت من الحمام ثم جففت نفسها بالمنشفة بلا وعي . عندما
نظرت إلى المرأة طالعتها صورتها: صورة تُغرّها المرتجف وميض
عينها الوجلتين . لقد بدا واضحاً عليها ذلك التأثير الذي تركه
باول . . وهذا ما زاد في إزعاجها . لقد اقترب كثيراً منها . . ومن
الخطر عليها أن تترك أياً كان يشرب هكذا .

ارتدت تنورة خضراء قاتمة بسيطة وكنتزة بيضاء وجلست أمام
طاولة الزينة تضع ماكياجها . ما هي إلا هنيهات حتى سمعت هدير
سيارة مبتعدة، فارتجفت بدعا ولكنها سرعات ما تماسكت . . لقد
رحل باول وهذا مبعث راحة لها، فقررت أن تتخذ الخطوات
المناسبة لمحوه من حياتها مهما كان الثمن . . فاليوم نلقت إنذاراً
جدياً، ولا حاجة إلى أن يتكرر ما حصل لتفهم معناه .

كان ربه يرفل في ذنبه حين انضمت إليه بعد عشر دقائق،
وايتم لها:

- مرحباً . . كيف تمت التمارين؟

- لا نسال عن هذا! ماذا كان يفعل مايسون هنا؟

- كنا ناقش مسألة عندك . على فكرة ، لقد كسب معركة رئاسة مجلس الإدارة ، ووعدني حين يعود من سفرته إلى بريطانيا بعد أسابيع قليلة ، أن يبحث العقد بعدي . أخبار جيدة ؟

- هل هو عائد إلى بريطانيا ؟

- مسافر الليلة ، على ما يظهر . ولكنه أكد لي أنه سيعود سريعاً .

أقنت ربا نفسها بأنها ستشعر بالراحة لأنه سترك البلاد . لقد رفع سفره عن كاهلها حملاً كبيراً وما عليها إلا أن تنساه .

- أقال لك شيئاً آخر ؟

كل ما سمعته كان مطمئناً ولكنها لا تدري لماذا أحست بالاكئاب . نظر إليها ربنه باستغراب :

- عم ؟ أوه . أجل . . لقد ذكر مسألة عطلتك . . فيلا دانقرز تحت تصرفنا ، كما قال ، ويعتقد أنه حان الوقت لشدان الراحة بضعة أسابيع .

تمتت بغضب :

- الفضولي المتطفل !

- وتصكت بالعقد . . لأن معه الحق . أنت بحاجة للراحة ، وقال مايلك إن غناءك بات رديناً .

- أوه . . أقال هذا ؟

- يظن أن تفكيرك غير منصف على العمل هذه الأيام وأنت لا تركزين جيداً وغالباً ما تخطئين في البدء بالفناء في الوقت المناسب هذا عدا نسيانك النعمات .

صرت ربا على أسنانها :

- لدى مايلك أقوال كثيرة . أليس كذلك ؟ لماذا لم يذكر أمامي ذلك اليوم ؟

- إنه قلق عليك بل كلنا قلقون عليك . . مستطبعين بعد بضعة أسابيع تحت أشعة الشمس من الشدو كالطير . . أوه . . هيا ربا . . ألا تشعرين بأن قواك تخور . لقد أعطيتنا كل ما لديك في الحفلة ، وهذا ما تركت مرهقة ، فمئذ تلك الليلة وأنت تسيرين كالشح .

أحست برغبة في أن تصيح بوجهه أن سبب كل ذلك هو باول مايسون . ولكنها نظرت إلى البعيد ، تمضغ شفرتها بغضب . إن من المستحسن الفرار بعيداً بضعة أسابيع هذا ما اعترفت به لنفسها ، فهي تحس أنها غريبة الأطوار مؤخراً . . وتحديداً منذ ليلة الاحتفال . . إذن ، ربما ربنه على حق ، ربما استنفدت كل ذرة من طاقتها تلك الليلة . . وربما ما تحتاج إليه هو الانقطاع عن العمل فترة طويلة .

قال ربنه بمكر وهو يراقب تعبيرات وجهها :

- موافقة ؟

تهللت :

- موافقة !

ضحك قبل أن ينهالك في مقعده :

- هذه هي فتاتي ! لا تقلقي على التزاماتك فسألغها جميعاً ، ثم أحدد مواعيد أخرى حيث تدعو الحاجة . على كل الأحوال ليس هناك ما هو ملح ، والتسجيل يمكن أن يتأجل .

لم تذكر جولي شيئاً عما شاهدته حين أقبلت على باول و ربا . . فانظرت ربا منها بعض التعليقات الساخرة ولكنها لم تقل شيئاً . كان كل ما يشغل بال جولي هو العطلة المرتقبة تحت أشعة الشمس ، فبرأي جولي أن الجنة هي عبارة عن التمدد طوال النهار تحت أشعة الشمس بكسل واسترخاء ، وهذا ما أضحك ربا ، فأول ما يلاحظ المرء في جولي هو حيويتها وحركتها الرشيفة الخفيفة التي تجعلها تنهي الأعمال قبل نصف الوقت المطلوب وحين تطلب الراحة تفعل

ذلك بالعزم الذي توليه لأي شيء آخر . فهي تقول : على المرء أن يفعل كل شيء بكل ما أوتي من نشاط .

حدّد السفر إلى برمودا صباح الأحد في الأسبوع المقبل . أمضت إندي نهار السبت توضع الحفائب . وكانت موهوبة في عملها هذا ، إذ كانت تتمكن من وضع أشياء في الحقيبة أكثر مما يتصوره أحد . وتقول إندي ، إن هذا يعود إلى سنوات من الخبرة . فقد قامت بذلك مرات عديدة حتى باتت تستطيع القيام به وهي نائمة .

سألت ريا وهي تلوح بنوب نوم حريري .

- سنأخذين هذا؟

- لا . الروب المشغفة فقط . قلت لك هذا .

نظرت إليها راضية :

- حاضر . تأكدي من حصولك على عطلة جيدة . أأنفهمين؟

- سيكون ذلك ، لا تنقي .

- يحظى دائماً على العطلات من لا يحتاج إليها .

سألته ريا بغضول وهي محتبة في سريرها تمسك ورقة نوتة

موسيقية :

- أين ستمضين عطلتك؟

- حيث أقضيها دائماً .

ضحكت ريا :

- في فرزتو؟

- وما خطب هذا؟ أحب الهدوء حين أقضي إجازتي .

دخل ريته الغرفة مقطباً :

- ريا . عليك أنت وجولي السفر وحدكما غداً . جد علي

أمر ، يجب أن أرى ريكي أونيل ، لذا سأبقى يومين آخرين .

رفعت ريا حاجبها استغراباً :

- ريكي؟ لماذا تريد رؤيته؟ ألم تقل إنك لن تكلمه ثانية بعد ما

تركك بتلك الطريقة حينما سافر إلى لندن .

- أو لا أستطيع أن أغير رأيي؟ لقد اتصل بي منذ قليل يخبرني أنه

تساجر مع وكيله وأنه يريد أن يعود إلى مكنتي . لذلك لن أستطيع

السفر معكما وأترك هذا حتى عودتي فقد بقوت الأوان ساعتك .

سأتهي العمل معه ثم أنضم إليكما في أسرع ما يمكن . أعدك بهذا .

- هل أخبرت جولي؟

- أخبرتها فغضبت .

- لا يدعشني ذلك .

- اسمعي . ريكي صيد ثمين لذا لن أدير له ظهري . . . تعلمت

أن عليتنا في مهنتنا التمسك بالفرصة المتاحة لنا وهذا ما تعرفه جولي

خير معرفة . وكما تعلمين أننا بحاجة الآن في هذه الظروف إلى مال

لتأمين حياة جيدة لطفلتنا القادم .

تمتمت إندي :

- ذلك الطفل المبارك سيلا على كل شيء .

نظر إليها ريته عابساً :

- اصممتي أينها العجوز الساحرة الشريرة! لا أعرف أبداً كيف

تتحملك ريا ، لو كنت مكانها لظردتك جزءاً من أذنك .

- لن تتمكن من هذا . . . لأنني لن أعمل عندك ولو دفعت لي

أضعاف ما أتقاضاه الآن . صبر جولي عظيم ولعل هذا ما أفسدت .

إنه الدلال . إن سائر نساء العالم ما كنّ ليحملك .

- تعنين أنت . . . كما أعتقد؟

- أوه . . . لن أتحملك . . . ولو بعد مليون سنة .

استلقت ريا تستمع إلى الجدال القديم المألوف بينهما مبتسمة

ولكن هذا الجدال لا يعني شيئاً لأنهما يتمتعان بتبادل الصراخ ويحبان إطلاق الإهانات، وتلقبها . . . إنه كالملاح لحياتهما . . . رينيه يعرف أندي منذ سنوات فقد ترعرعا معاً في الحي ذاته، ودار كل منهما في بوتقة العمل المسرحي في برودواي، وكان أن عملت أندي مع العديد من النجمات الناجحات . . . وهذا المزاج الثقيل بينهما هو نوع من الألفة العائلية التي جعلتها تحس بالأمان في السنوات الخمس المنصرمة . . . فلم يكن هناك خصام حقيقي في شجارهما .
لقد جعلها الإصغاء إليهما منذ البداية تشعر بما تكون عليه الشجارات في العائلة الحقيقية . وهذا ما لم تعرفه قط بل هذا ما تآقت إلى اختباره دوماً .

خرج رينيه وأندي تصيح في أعقابها، وكأنها إرهابي فاقد صبره . ونظرت ربا إلى السقف وهي تفكر أن الأمور تبدلت كثيراً منذ ليلة الحفلة . . . كانت الحياة قبل ذلك تبدو لها مستقرة، هادئة آمنة . . . أما الآن فهي تشعر وكأن الزمن تغير وتبدل بطرق مختلفة . تأثير باول هو جزء من هذا التغيير . . . فجولي تغيرت . . . والطفل القادم أثر في كيانها كثيراً، فرقت مشاعرها وباتت أقل سخرية وتوتراً . وها هي تلاحظ أن جولي أيضاً لا تهتم هذه الأيام كثيراً برينيه، ولا بها . عائلتهما الصغيرة تتغير والمحاور تتبدل . . . وهذا المنزل رغم دورانه حول مستقبل ربا العملي لم يعد كما كان .

جولي تغيرت، ورينيه تغير وهي أيضاً تغيرت لكنها لم تكن مستعدة بعد للبحث في التغييرات الدقيقة في رأسها . . . فقد كانت تخاف مما تتوقع لذا أغمضت عينيها عنه .

في الصباح التالي، استيقظت على رنين المنبه فنهضت من السرير حالاً لتستعد ولكن حين تركت غرفتها بعد ربع ساعة وجدت رينيه ملتف بروب المنزل في المطبخ يشرب القهوة بوجه نائم . . . ولا

أثر لجولي . . . فقالت له بإسراف:

- صباح الخير . . . ألم تستيقظ جولي بعد؟
رد متجهماً:

- إنها مريضة جداً لا تستطيع الحراك .

- وما الخطب؟

تمتم:

- الأشياء العادية . . . اتصلت بالطبيب فهذا الغثيان الصباحي لا

يفتك بعابودها وأنا قلق عليها .

جلست ربا أمامه شاحبة:

- أظن أن بها خطباً ما؟

رد بحدة وهو ينظر إلى النافذة:

- لا أدري . وكيف أعرف؟ الحمد لله، هذه سيارته . . . لم أكن

أعرف كم سيتأخر . اتصلت به منذ ساعة .

وقف ليفتح الباب للطبيب وفي صوته توتر عميق وغضب .

جلست ربا تصغي باضطراب فسمعتهما يصعدان إلى فوق، وسمعت

فتح الأبواب وإقالتها . . . كان إيريق قهوة على الموقد فوقفت

لتصب لنفسها فنجاناً، ثم جلست إلى الطاولة ترتشفه . . . كانت يداها

الباردتان ملتفتين حوله التماساً للدفء . . . أرجو يا الله أن لا يكون

هناك خطب ما .

جولي تريد الطفل . ربما ذعرت في البداية ولكنها الآن ستألم

كثيراً إن حدث شيء . . . انصبت عينها على الممرات الغارقة تحت

أشعة الشمس . كانت الأبواق الذهبية الحية اللون للدالية متدلية في

الهواء والحديقة كلها تستحم بأشعة شمس الربيع . في صباح كهذا

يصعب التفكير في أن هناك خطباً ولكن الحياة ظالمة في بعض

الأحيان .

سمعت الباب في الطابق العلوي يفتح فذعرت ولكن عندما
سمعت الأصوات القادمة شعرت بأن فيها مرحاً بشكل مدهش . أم
نراها متوهمة؟ قال رينيه بصوت مرتفع : « الحمد لله على هذا » .

وسمعت الطيب يرد بصوت منخفض . . وانفتح الباب الأمامي
ثم أقفل وبعد ذلك سمعت هدير محرك السيارة وشعرت برينيه يدخل
إلى المطبخ فنظرت إليه بحدة :

- هل هي بخير؟

- يقول هذا . . وأخذ الأمور بروية قائلاً : إن بعض النسوة يصبين
بالغثيان في فترة الحمل الأولى ولكنه لا يلبث أن يتوقف بعد أسابيع
وليس عليها إلا الراحة فترة .

- وهل ستصبح على ما برام؟

ابتسم مطمئناً :

- يقول إن لا مشكلة سوى أنها تحمل للمرة الأولى وهي في
الأربعين .

وضع يده على إبريق القهوة :

- أما زال ساخناً؟ أحتاج إلى فنجان قهوة .

صب لنفسه ، ثم نظر إليها وهو يشرب .

- أخشى أن تكون الإجازة ملغاة ، بالنسبة لجولي على الأقل . .

قال الطيب إنها ممنوعة عن السفر حتى تستقر حالتها قليلاً .

- أوه . . إذن لن أذهب كذلك .

رد رينيه بعناد :

- بل ستذهين . . لا تكوني سخيقة ، فهذه العطلة عطلتك . .

أنت من تحتاجين إليها لذا ستذهين . ستصل السيارة بعد دقائق .

وحقائبك في الردهة أمام الباب .

- لا أستطيع الذهاب وحدي !

- ولم لا . . كل شيء جاهزاً ستقلك السيارة إلى المطار ومن
هناك تسافرين إلى برمودا حيث تستقبلك سيارة أخرى تقلك إلى
الفيلا . فهل تخشين أن تنوحي في الطريق؟

كان رينيه يمزح ولكن ربا كانت مرعوبة من فكرة السفر وحدها
مدة أسبوعين ، فهي لم تسافر إلى أي مكان منذ خمس سنوات إلا
برفقة أحدهما . لذا صدمتها فكرة السفر جواً بدونهما .

- نعمتي فقط بوقتك . أما الآن فاصعدي للاطمئنان على صحة
جولي . . إنها قلقة لأنك ستسافرين وحدك فلا تكديريها أكثر . أيمكن
ذلك؟

وقفت ربا تعده :

- أعد ألا أكدرها . . لكنني لم أكن أتوقع أن أسافر وحدي إنها
مفاجأة .

- أنت فتاة ناضجة الآن ، ويبدو أننا جميعاً نفاوضنا عن هذا
الواقع . . اعتدنا أن نعشرك طفلة فلم نلاحظ أنك كبرت وما زلنا نراك
ابنة السابعة عشرة ولكن على أحدهم عاجلاً أم آجلاً أن يدفعك عن
العش لتتعلمي الطيران وحدك . وهذا لصالحك ربا .

وقفت تنظر إليه شاحبة .

- أهذا هو ما يحدث؟ هل تدفعني عن العش؟

ابتسم :

- جربي جناحك فترة . فمن يعرف؟ قد تجددين أن بإمكانك
الطيران دونما حاجة إلى أحد .

تجهم وجهه :

- لكن لا تنسي أنني أفضل دماغ تجاري في عالم الأضواء . .
ولا أريد أن تحلقي بعيداً .

صعدت ربا إلى فوق فوجدت جولي مستلقية على وسائد

شاحبة جداً حين فتحت عينها عبت في وجه ريا مازحة:

- آسفة لما سبت لك من إرباك ريا... ولكن، نمتعي بعطلتك
ولا تقلقي على شيء.
- هل أنت واثقة...

قاطعتها جولي تهز رأسها:

- أريدك أن تستريحى أما أنا فسأكون على ما يرام، فلن أخرج
من سريري حتى تتوقف الغرفة عن الدوران. وحين تعودين سأكون
قد تجاوزت هذه المرحلة، فالطبيب يقول إن كل شيء طبيعي...
أهو طبيعي... أسالك؟ ما هذه الكلمة؟

ضحكت ريا فجولي في جميع الأحوال في شحوبها وعدمه لا
تتغير أبداً فما زال صوتها الواهن مصمماً على إيجاد المرح حتى وهي
مريضة.

صاح رينيه من الأسفل:

- ريا... السيارة هنا!

تقدمت ريا لتعانق جولي قبل أن تسرع إلى الخارج، حيث
عانقها رينيه بدوره قبل أن يفتح لها باب السيارة، فأدارت رأسها
تلوح له وهي تشعر بتوتر غريب وكأنها غير واثقة من نفسها... فلم
يحدث منذ أن كانت في السابعة عشرة أن خرجت وحدها. كان رينيه
وجولي قد نظما لها حياتها لذا لا غرابة أن تكون روح المغامرة فيها
قد نضاءت في السنوات التي بقيت فيها مقطعة بقطن وقائي ناعم.
حين انطلقت طيارتها تشق أجواز السماء الزرقاء الواسعة،
نظرت إلى الأسفل حيث المباني الصغيرة الشبيهة باللعب التي أخذت
تختفي تدريجياً فأحست برجفة متوترة مشيرة غريبة داخلها. من
السخف أن نحس بأنها اليوم وصلت إلى سد منبع في حياتها، قد
يحدثها بمائه ولكن هذا بالفعل ما يحصل، وكانت القناعة هذه تكبر

في داخلها مع مرور كل لحظة. ولم تعد واثقة ما إذا كان هذا التغيير
قد بدأ ليلة التقت مايسون. ولكنها واثقة أنها حين تعود من رحلتها
هذه لن تعود كما كانت.

استلقت ربا على منشفة بحر صفراء كبيرة، علت رأسها قبة من قش بيضاء ظللتها من الشمس وامتدت من فوقها مظلة شاطيء مخططة، وتكسرت من خلفها الأمواج وصدحت في الجو طيور البحر وهي تنفض على المياه الزرقاء.

على مقربة من بعدها كتاب يروي قصة مثيرة كانت اشترته من مطار لوس أنجلوس لكنها لم تتمكن من إتمام قراءته لأنها لم تستطع التركيز على قراءة ما يتعدى صفحات قليلة وإلى جانب الكتاب زجاجة من زيت الشمس انتهت لثوفا من لدليك بشرتها به.

إنها هنا منذ أربعة أيام، تنعم بأشعة الشمس كل يوم. في البدء حاذرت ألا تكثر من ذلك، غير أن بشرتها ما لبثت أن تألفت مع شمس الجزيرة الواجحة التي لفتت جسدها بسمرة شديدة. كان المسر إلى الشاطيء يتحدر من الفيلا التي تستطيع من هنا رؤية جدرانها البيضاء في فسحات متباعدة على امتداد الشاطيء. هناك فيلات أخرى رأتها منذ يوم وصولها وكان السائق المحلي الأسمر قد أصر على ذكر اسم ساكن وصاحب كل فيلا. يبدو أن هذا الجزء من الجزيرة مكان فخم والمعيشة فيه باهظة فهذه الفيلات جميعها لأثرياء يبدو أنهم يعيشون فيها في فترات متقطعة ثم يعبرونها إلى أصدقائهم.

حالما وصلت علمت أن فيلا دانفرز عاملين من السكان المحليين وكانوا قد خفوا لاستقبالها وقد أبلغها السائق أن الموظفين

لا يسكنون فيها بل في مبنى منفصل. وحين خرجت من السيارة أمام المبنى، تمكنت من معرفة الرجل الأشيب ذي الثياب الرسمية الذي خف إلى فتح الباب لها:

- أنت دايفدسون.

فأحني رأسه بوقار:

- نعم آنسة.

ولم يتسم، فهو يحمل الدنيا على محمل الجهد ويتوقع من الجميع التعامل معه على هذا الأساس. وكان بعينه السوداوين اللتين لا يفوتهما شيء يناسب متصباً دبلوماسياً يبرز فيه مواهبه، أكثر من هذا العمل الذي يبدو فيه ضائعاً.

لم يكن يصعب عليه شيء. كان ينفذ لها كل رغباتها ويدير الفيلا بمهارة فائقة، لذا لم يكن يجرؤ أحد حتى الخدم على التناول عليه وكانوا في تعاملهم معه يحترمونه احتراماً يزيد عن احترامهم لجوشوا دانفرز. وما كان على ربا سوى أن تذكر مثلاً أنها تحب المحار حتى يظهر على طاولة الغداء، وبعد الصباح الأول، حين قدم لها طعام كثير لم تكذب تمن من سوى الفاكهة والعصير عرف ما تريد. لم يكن يفوت دايفدسون شيء وإذا لاحظ أنها لا تحب صنفياً معيناً من الطعام منع الخدم عن تقديمه ثانية. سألت مرة:

- منذ متى تعمل هنا دايفدسون؟

بدا وقوراً عندما قال إنه يعمل في الفيلا منذ عشرين سنة.

- وهل كان السيد دانفرز يملكها طوال هذا الوقت؟

- امتلكها منذ أربع سنوات.

- ولمن كنت قبله؟

- لسيد إنكليزي لم نره كثيراً باع الفيلا بعد سنة من امتلاكها.

تحرك مبتعداً عن الطاولة منها الحديث بأدب وثبات ثم تواري

عن الأنظار . إنه يتجنب الأخذ بأطراف الأحاديث ، ورغم كياسته لم يسمح لربما بأن تبادل الأحاديث . كانت تشعر أنه يعتبر الفيل نوعاً خاصاً من الفنادق وأنه هو مديرها ، وبدا لها واضحاً أن السيد دانفرز نادراً ما يأتي إلى هنا ، ولكنه كان يعبر المكان على الدوام لأصدقائه ومعارف عمل .

كان للمكان لمسة بعيدة عن الواقعية . فهو دائماً نظيف مرتب ولكن رغم فخامة أثائه وروعة ديكوره بدا لها غير مريح وكانت تجد هذا الشاطئ أفضل منه بكثير لذا فضلت قضاء معظم أوقاتها خارج الفيلا .

اضطرها غلورها إلى نفسها إلى التفكير كثيراً على الرغم من أنها لا ترغب في ذلك ، فحين يكون هناك متغيرات كثيرة من حولك تدفعك غريزتك إلى التمسك بموقفك والثبات ورفض الانصياع ، إما جسدياً وإما نفسياً ، إلى أن تحس بالأمان ثانية .

اجفلهما وقع أقدام كانت تدوس الرمال الناعمة تحت مسمعها فرفعت جسدها تنظر إلى ما حول المظلة ولكن من رآته صدمها وجوده .

- مفاجأة! مفاجأة!

وابتسم .

- ريكبي! ماذا تفعل هنا . .

- جئت حاملاً رسالة من رابعيك . .

دنا منها ثم ارتمت فوق الرمال :

- يقول رينيه إنه إن كنت لا تمتعني نفسك منع عنك مصروفك .

جلست تنظر إليه باستغراب :

- كنت أحدثه منذ يومين هاتفاً ولم يذكر أنك قادم .

- قررت هذا بالأمس .

- وماذا تفعل هنا؟

- ما تفعلينه أنت يا حبيبي . أنا في عطلة .

نظرت إليه بقلق وتحركت عيناها نحو الفيلا :

- هنا؟

فضحك :

- لا . . أنا أقيم في الفندق . . ولكن إذا دعوتني . .

ابتسمت ولكنها تجاهلته :

- متى وصلت؟

- هذا الصباح . . هاي . . هذا مكان جميل . . هل ستمكنين فيه

طويلاً؟

- بضعة أسابيع . . هل قال رينيه شيئاً عن جولي؟

- وهذه الرسالة الثانية : ليس عليك أن تقلقي إنها بخير ، وقد

غادرت الفراش ، وهي تسبب الصداع لرينيه . . وكل شيء عاد إلى

مجراه .

تنهدت بارتياح :

- عظيم . . كنت قلقة عليها .

- لا أكاد أصدق أن جولي حامل . . من كان يفكر في هذا؟ فلا

بليق بجولي أن تكون سيدة ترعى شؤون طفل فهي في الواقع من تدبير

المؤسسة لا رينيه .

- هذا تجزئ كبير ، نعم لجولي عقل تجاري راجح ولكنهما

سعيان بالطفل .

- صحيح . . شاهدت رينيه محمراً الوجه .

- هل وقعت عقداً معه مجدداً؟

- نحن نوشك أن نوقعه ولكنه مضطر أولاً إلى إيجاد مخرج

قانوني لأجل العقد مع وكيلتي السابق . . لا أستطيع الثقة بذلك

الرجل . . . وسأكون مسروراً إن تخلصت منه . إنه سمكة قرش
مفترسة!

- علام اختلفتما؟

- وماذا تظنين؟ على المال، وما غيره؟ أكره المال أحياناً لأنه
يظهر أسوأ ما في الإنسان.

- لكنك تعلم أنك قادر على الوثوق بربيه فيما يخص المال.
ولهذا عدت إليه.

تناولت ربا زجاجة زيت الشمس ووضعت قليلاً على كتفيها
وذراعها، فرقع ريكى أمامها ومد يده بأخذ الزجاجة منها.
- سأساعدك.

عندما استدارت أحست بأصابعه تدلك ظهرها بنعومة، بعد
قليل سألته:

- كم ستبقى هنا؟

- لم تقرر بعد.

وأعطها الزجاجة بريت ظهرها.

- هاك . . . لقد انتهيت حبيبتى.

التفتت إليه من فوق كتفيها:

- نقررو؟

- أنا مع سيدتي الصغيرة هنا!

رفعت حاجبها دهشة:

- ريكى هل أنت متزوج؟

- نحن مخطوبان منذ سنة أشهر، ومن يدري كل شيء جاتز . أنا
لا أحب الاستعجال ولكنها جميلة ومميّزة، ولا أريد أن أخسرها.

- لا تخسرها أبداً ريكى . . . أود أن أقابلها.

- سنحب هي ذلك أيضاً كنت سأصحبها معي اليوم، لكن

ربيه قال إنك تخلصين إلى الراحة، وإنه لا يريد من أحد أن يزعجك
ولكن اعلمي أنها إحدى المعجبات بك، فهي تملك كل إسطواناتك
وتكاد تدفعني للحنون بسماحها لأغانيك ليل نهار.

ابتسمت:

- أمر جميل . أتعلم . . . غنيت أغنيين من أغانيك في الاحتفال
وأنا معجبة بك.

- نحن جماعة من متبادلي الإعجاب.

ووقفت . إن مظهره الطقولي بشعره الأشقر المسترسل لخادع،
فتحت مظهره الطقولي ذكاءً وخبث . . . ما على المرء إلا أن يستمع
إلى أغانيه ليعلم أن تحت بساطة الكلمات والموسيقى نهر من الشعر
لا يظفو لكنه موجود إذا أردت أن تراه.

وهيت ربا أيضاً تجمع كتابها وزجاجة الزيت، ثم مشقتها
ونظارتها.

- سأرافقك حتى المنزل.

وضع ريكى ذراعه حول خصرها بعفوية وقال:

- ما رأيك باجتماع صغير في الفندق مساء الغد؟

- جميل . . . سأحب هذا.

فابتسم:

- طيب . . . سنصل دابان إلى القمر في سبيل مقابلتك.

- وماذا تعمل دابان؟ هي من عالم الموسيقى؟

- لا . . . إنها طبيبة.

شبهت ربا وأتسمت حدقتها.

- أنت تخدعني!

ضحك:

- لا . . . فهذا صحيح، إنها طبيبة في مستشفى في لندن . . . وهي

بارعة جداً، وفيها ميزات عديدة عدا الوجه الجميل. أظن نفسي دائماً أنني أعرف كل شيء عنها، ثم أجد أنني مخفي. فني كل مرة أكتشف ميزة أخرى لم أرها من قبل.

- تبدو لي سيدة حاذقة.

يبدو لها أن دايان إما شخصية مميزة غير عادية، أو فتاة تعرف كيف تفاجئته على الدوام. تابع ريكي ونظرة حائلة على وجهه: «لم ألتق بمثلها قط».

وصلا إلى شرفة المنزل فتوقفت ربا مبتسمة:

- إنني متحركة شوقاً إلى مقابلتها.

- إذن، العشاء معاً في الغد؟ سيكون في الفندق استعراض

ورقص نستطيع عندها أن نجد متعتنا.

- سأمتنع حقاً.

- وهل بدأ الملل يتناكب ربا؟

اعترفت ضاحكة:

- قليلاً.

- ولكنه مكان جميل فكيف تملين فيه؟ كنت أظن أنك بحاجة إلى عطلة بعيداً عن كل شيء. إنها حياة جميلة هذه، قال لي ريتيه إنك كنت ترهقين نفسك كثيراً.

- ألم تلاحظ السوط الذي يستخدمه في سوق العبيد كما اعتقد؟

ضحك ريكي:

- هل آتي لاصطحابك أم تأتين بمفردك؟

- سأأتي بمفردتي.

- إذن، سأراك عما قريب.

راقبته وهو يتنهد ثم سمعت هدير تحرك سيارة. فدخلت غرفة الجلوس الباردة الظليلة ومنشفتها تترجح في يدها، على الرغم من

المتعة التي حظيت بها في العراء تحت الشمس شعرت بالبهجة للمقاطعة، ونحرت شوقاً إلى الأسيمة القادمة. فريكي رفيق نشيط غير متطلب، وفتاته على ما يبدو مشيرة للاهتمام، وربما سعيدة بهما. إن كياسة ريتيه جعلته يقترح عليها هذه الزيارة فهو دقيق الملاحظة إنه رجل، مهما تكن مشاغله، يتمكن بطريقة ما أن يوفر وقتاً لمجاملات صغيرة تجعل الحياة أكثر بهجة للجميع.

تفاجأت ربا عندما رأته ديان فقد وجدتها أفضل مما وصفها ريكي فهي شقراء صغيرة الجسم تفور حيوية، عيناها زرقاوان تلمعان لمعان مياه البحر الهادئة حين تتراقص أشعة الشمس فوقها. وجهها الهادي يوحى بطيبة ظاهرة، لكنه يخفي وراءه قسامته اللطيفة ذكاء وقادراً وهناً حاداً.

كان الفندق، مبنى كبيراً حديثاً، مشغولاً نصفه في هذا الوقت من نهاية الموسم. يعد العشاء لم يكن هناك في ساحة الرقص سوى بضع راقصين. ابتم ريكي لهما برضى تام عن نفسه، وقال:

- عليكما أن تتشاركا في، ولا تتخاصما يا فتاتي!

نظرت دايان إلى ربا بسخرية:

- إنه يغتر بنفسه؟

سأل ريكي متصنعاً الدهشة:

- كيف تقولين هذا؟ أنا أكثر الشباب الذين تعرفانهم تواضعاً.

وقفت دايان:

- أنا ذاهبة إلى غرفة الزينة، لذلك بإمكان ربا الاستفادة من

الرقصة الأولى. واتنهي إلى أصابع قدميك.. إنه يرقص كالقيل!

أطلق ريكي استهجاناً واحتجاجاً ولكن عينيه تعقبها بسرور

حتى انحضت وعندما توارت عن ناظره التفت ومد يده لربا.

أحست ربا بوحدة غريبة.. تبادل المزاح والسخرية بين ريكي

ودايان جعلها تحس بوحدة قاتلة. ليس من المستحسن أبداً أن يكون
المرء بين شخصين اثنين متلازمين متلاصقين تلاصق دايان وريكي
وعلى الرغم أنها كانت معهما إلا أنها شعرت أنهما يودان لو يخلوان
إلى بعضهما بعضاً دون حبيب أو رقيب.

سألها ريكي منتهفاً:

- ما رأيك فيها؟ أليست جميلة؟

- أعجبتني جداً. أنت محظوظ ريكي. ومحظ أيضاً، فهي
مميزة.

ودايان محظوظة أيضاً، فريكي شاب لطيف جداً، وهو يجمع
إلى جماله ذكاء وقادراً وهما زوجان مناسبان، حسنتهما ربا على
سعادتهما الدافئة التي تبرز واضحة حين يتكلمان أو حين يضحكان
ويرقصان وحتى حين يتجادلان.
- سترارك لاحقاً.

هذا ما قاله ريكي عندما ودعاهما. فابسمت لهما:

- تعاليا متى شعرتما بالسأم.

ولكنها لم تتوقع رؤيتهما مجدداً، كانا بغاية اللطف عندما
دعواها إلى مشاركتهم العشاء ولن تلومهما إن فضلا قضاء الوقت
على انفراد.

ذلك المساء، فيما كانت واقفة أمام نافذة غرفة نومها تحدق إلى
السماء القاتمة أحست بوحدة قاتلة حتى خافت أن تنام خشية أن
يعاودها الحلم الرمادي الذي يلاحفها طوال حياتها. . . كان ما رآه
على ريكي ودايان من سعادة سيأ في زعزعة نجاحها الهش الذي
عملت جاهدة لبنائه وضحت بكل شيء لأجله. . . كانت مؤخرأ
تساءل عما إذا كان حلمها قد تحقق. . . ألم تسجن نفسها بملء
إرادتها، في تلك الوحدة. . . ومنذ زمن بعيد؟

قد تكون بعض المخاوف من النوع الذي يحقق نفسه بنفسه فلو
حاول المرء أن يكون حذراً مما يخشاه كثيراً هباً نفسه بطريقة لا
شعورية إلى ظروف تحدقه أكثر فأكثر في شر ما يخشاه فهل فعلت
ذلك بنفسها؟

هل فرارها من الألم والأذى أوقعاها في أن تنبذ نفسها إلى
الأبد؟ ارتجفت وذعرت ففسقت إلى السرير. تفر من الأفكار
الجديدة التي لن تزيدها إلا اضطراباً.

بعد تلك الليلة بيومين وصل ريكي ليلقي عليها التحية. كانت
الشمس قد لوحت بشرته بلون ذهبي.

- مرحباً؟ من أين هبطت؟ أين دايان؟

- في صالون التجميل تسرح شعرها. حضرت لأنفق أحوالك
ولأسألك إذا كنت ترغبين في قضاء آخر أمسية لنا هنا معنا، فستعود
إلى انكلترا بعد يومين.

- هذه طيبة منك ريكي، فأنا بلا شك سأتمتع بوجودي
معكما. . . ولكن هل أنت واثق من أنكما لا تفضلان قضاء آخر أمسية
على انفراد؟

- فكرنا أن نجعل المناسبة احتفالاً لأننا قررنا الزواج وتريد أن
تكوني أول العارفين.

ضحكت ربا، سعيدة بالخبر:

- هذا رائع! ما أشد سعادتي بالخبر وأنا واثقة أنكما ستكونان
سعيدين.

- وأنا واثق من هذا. . . إذن ستأتين؟

- بكل تأكيد.

جمعت أغراضها ثم سارت معه إلى المنزل، كانت ذراع ريكي
تلتف حول خصرها وكان هو يتحدث عن خططه مسروراً.

- سنظل دايان في عملها ولكنها ترغب في إنجاب طفل في السنة القادمة . تريد الزواج لأن كلينا يرغب في الإنجاب . فما أروع أن يكون لي منزل أعيش فيه باستقرار والاستقرار هو ما افتقدته منذ سفري إلى انكلترا .

كانت ربا تضيء إليه وهي تنظر إلى الفيلا . فجأة شهقت بحدة فقد انبهرت عينها بنور الشمس الساطع حتى ظلت نفسها تتوهم ما ترى ثم لمّا حققت النظر ثانية علمت أنها غير متوهمة فقد كان هناك شخص طويل يتكىء إلى أحد الأعمدة البيضاء . أما الشخص فهو باول مايسون .

لم يكن ريكي قد لاحظ وجوده لأنه كان مشغولاً بالحديث عن دايان . ولكنه صمت فجأة فافغراً فمه وذلك حين التقت عيناه بالتهديد الخطير الذي كانت ترسله عينا باول مايسون . من الغياء التصور أنه يهددهما ، ولكنها كانت تشعر بالتهديد بظل من عينيه بل كادت تلمس هالة من الشر تلب وثباً في ناظره .

توقفا ما إن وصلنا إلى الشرفة وقال ريكي :

- مرحباً !

ونظر إلى ربا التي ناضلت ليفي وجهها هادئاً ، ثم أعاد نظره إلى الرجل المواجه له :

- باول مايسون على ما أعتقد؟ التقينا السنة الماضية في لندن ، ولا أدري إذا كنت تذكر .

رد باول :

- أذكر .

تذكرت ربا أول لقاء لهما ، وعادوها الإحساس بأن هذا الرجل بارد كالقطب المتجمد . وأضاف باول :

- لم أكن أعلم أنك مقيم هنا .

رد ريكي مرتبكاً من الجو الذي يلفه

- أجل . أنا هنا منذ بضعة أيام . هل أنت في إجازة أيضاً سيد مايسون؟

رد باول بحدة :

- أجل .

- إنها جزيرة جميلة نافعة للمعطلات .

كان ريكي يتصنع الأدب في كلامه تصنع من يتلقى عداوة لا يفهم سببها .

قال باول : «أجل» .

استطاع باول بطريقة ما من نقل عدم موافقته ولكن ريكي لم يفهم تأويل هذا الصدد . أحست ربا بنظرة الاضطراب التي رمقها بها ريكي ولكنها نجحت نظرنه عامدة . أكمل ريكي حديثه :

- كنا نستكشف الجزيرة ، ندور حولها في السيارة ، سنظل زورقاً إلى عرض البحر ، نغطس . . الأمور السياحية المعتادة .

هز باول رأسه وكان وجهه متجهماً كالصوان ، ينظر إلى ريكي بطريقة ذكرت ربا بمصارع ثيران يواجه ثوراً هائجاً . . انخفضت نظرنه إلى حيث تقع يد ريكي على خصر ربا ، فسارع بسحب يده ونظر إلى ساعته مظهراً الدهشة .

- يا الهي . . انظروا إلى الساعة! اقترب موعد الغداء . .

ثم ابتسم لياول ابتسامة زائفة :

- أنا مقيم في الفندق الجديد ، حيث يقدمون مجموعة لذيدة من الأطعمة البحرية . . أنتحب الطعام البحري سيد مايسون؟

- لا أحب كثيراً . . هل كنت تعدّ نفسك للغداء هنا؟

كانت كلماته لطيفة ولكن لهجته كانت حادة كالسيف أما تقاطيع وجهه وهو يوجه السؤال فجعلت السؤال ليس مجرد سؤال بل

مطالبة بالرد. إن الرجل الشجاع وحده يستطيع أن يجيب بـ «نعم»
لكن ريكبي فضل الفرار من التحدي
- لا . لا . لا . يتوقعون وصولي في القندق . أراك فيما بعد ريبا ،
سأنتصل بك بخصوص ليلة الغد .
- أجل . لا بأس .

ولكنها كانت ترد على طيفه المتواري . وفي السكون سمعت
صوت باب سيارته ثم هدير المحرك . وابتعاد السيارة التي راحت
إطاراتها تحفر الطريق العمام أمام القبلا .
التفتت إلى باول بغضب وصاحت :

- ماذا قصدت بما وجهت إليه من كلام؟ لماذا هذا العداء كله؟
- ماذا كان يفعل هنا؟

- ريكبي صديق قديم ، عملت معه منذ مدة . وهو شاب ممتاز
والأهم : ماذا تفعل «أنت» هنا؟
- ماذا تعنين بصديق قديم؟ إلى أي حد علاقتك به؟ أتعرفين أنه
على علاقة مع شقراء جميلة منذ ستة أشهر؟
هزت كتفيها .

- وإن يكن؟
- وإن يكن؟ ألا تهتمين إن كنت السبب في تحطيم حياة فتاة
أخرى؟

- أنا لا أفعل هذا . ولا شأن لي فيما يفعله ريكبي .
- ظننتك قلت إنك لا ترغين في علاقات من هذا النوع ، فلماذا
اخترت عينة مثل ريكبي أو نيل؟
- لأنه يعجبني .

فليظن ما يريد إذ لا يحق له أن يقف ناظراً إليها باحتقار رامياً
عليها الاتهامات جزافاً وهو لا يملك دليلاً إلا رؤيتها مع ريكبي . لكن

ردها أشعل غضبه فقزت وجهه القاسي بقعاً حمراء ، وبدأ أنه يقاوم
انفجاراً متوحشاً وأخذ يتنفس بخشونة وسرعة .
كان بإمكانها تجاوزه والدخول إلى القبلا ولكن في الخارج من
المتبعد أن يشرق أحد الخدم السمع إلى حديثهما . فكان أن نقلت
المعركة إلى أرض العدو :

- على كل حال ، أنا هنا في إجازة ، فلماذا لا أسلي نفسي؟
إن كانت تقصد إشعال نيران غضبه فقد نجحت بكل تأكيد إذ
راح يسحب نفساً قوياً فيما جمدت عيناه جمود الموت .
- إذن هذا ما تفعله هنا . اليس كذلك؟

جعلتها نبرة صوته ترتجف ارتجافاً غريباً وكانت نبرته هذه قد
أرسلت رسالة إنذار إلى عقلها ولكنها تجاهلتها رافضة أن تترك
لعينيه الباردتين القدرة على إرهابها وإخافتها .

- ولماذا لا أفعل؟ قلت لي إنه أن لي أن أباشر باللهو . ألسنت من
طلب مني ذلك؟ ألم تقل إنني أحمل الحياة على محمل الجد أكثر
مما يلزم .

- لقد قلت أشياء كثيرة لعبنة!
خافت من لهجة المتوحشة .
في هذه اللحظة ظهر دايفدسون عند الباب الزجاجي المفتوح
المؤدي إلى الشرفة هادئ الوجه غير مضطرب :

- الغذاء جاهز سيد مايسون .
- شكراً لك دايفدسون . سنحضر حالاً .
أحتي دايفدسون رأسه وانحنى ثانية ، فصاحت ريبا .
- ومن دعاك إلى الغذاء؟
- أنا دعوت نفسي .

نظر إليها بسرعة نظرة من يتوق إلى الجدل . فأعظته ريبا ما

- أنت جريء جداً . كان عليك أن تتلقى دعوة أولاً حتى تشاركني الغداء . . .

ابتعد عنها قاتلاً :

- لكنني باق في جميع الأحوال .

تبعته مرتجفة غاضبة :

- وماذا يعني هذا؟

تابع سيره بخطى طويلة حتى كادت تركض لتتبعه .

- سأقيم في الفيلا أيضاً .

صاحت غاضبة :

- ومن قال هذا؟ وماذا تعني بأنك ستقيم هنا؟ لا يمكنك! من

دعائك؟

رد مجدداً :

- أنا دعوت نفسي .

إرسلت برودته الدماء إلى رأسها :

- السيد دانقرز . . .

ارتد إليها مبتسماً ابتسامة أشبه بحد السكين .

- لم يعد صاحب الفيلا .

تسمرت في مكانها تحذق إليه بوجل فتوقف هو أيضاً راقماً

حاجباً ساخراً فوق عينيه . . . قالت :

- باعها لك؟

- إنك مأكرة حقاً .

كان قوله ذاك السخرية بعينها فكادت تضربه . . . ولكنه كان ينتقم

لنفسه من الوخر الذي وخزته به منذ برهة . . .

ولكن ما تفكر فيه يخيفها : لقد اشترى باول الفيلا متعمداً .

وخطط لإرسالها إلى هنا ، لقد دبر لها شركاً وقعت فيه صاحت بخشونة :

- أنت . . .

مال إليها وأطبق فمها بيده ، ليخفي الجملة :

- شريـر . . . لا ينبغي أن تفوهي بمثل هذا الكلام!

أبعد يده بلا استعجال مروراً أصابعه على فمها ولكنه لم يلبث

أن ابتعد فسارعت إلى رمي الكلمة التي كبحها إلى ظهره كالخنجر :

- وغدا

وقفت ملتفتاً ، لكنها كانت قد تجاوزته لتصعد إلى غرفتها حيث

صفقت الباب خلفها ووقفت تنتشق الهواء بسرعة متسائلة عما

ستفعل بشأن هذا الوضع الجديد . . . بعد لحظات طويلة ، دخلت

الحمام لتستحم ، تاركة الماء يتناثر على جسدها الذي أدفاته حرارة

الشمس .

جففت نفسها وهي تعض شفتيها ، تفكر في التهديد الذي يمثله

وجود باول مايسون في الفيلا . بإمكانها إعداد حقائبها والرحيل . . .

أو الانضمام إلى ويكي وقتاته في الفندق . نعم هذا أفضل ما قد

تفعل . . . ولكنها كانت مقتنعة أنها ستضحي وقتاً صعباً في محاولة

الخروج من الشرك الذي نصبه باول لها . . . فهي لن تستطيع

السير حتى الفندق ، وستحتاج إلى سيارة ، وقد يحاول منعها من

استعمال واحدة .

ارتدت ملابسها ببطء وكان ما ارتدته فستاناً أخضر ذا باقة تمتد

حتى الكتفين . كانت بشرتها ساخنة بعد قضائها ساعات تحت أشعة

الشمس لذا وجدت من المريح أن تكشف كتفيها .

كانت على وشك الخروج من الغرفة حين وقع نظرها على

الهاتف قرب سريرها . فومضت عينها قبل أن تسرع لالتقاط السماعة

ولكنها فوجئت حين لم نسمع شيئاً، فحركت أزرار الهاتف ثانية بلا جدوى. لا حرارة في الهاتف. وضعت السماعة مكانها تفكر: هل هذه مصادفة؟

حالما خرجت وجدت باول في غرفة الطعام مع دايفيدسون الذي التحى لها قبل أن يسحب لها كرسيًا، فنظرت إليه بحدسة: - يبدو أن الهاتف معطل.

- أخشى أننا غير قادرين على الاعتماد على الهاتف في هذه الجزيرة آنسة. وما من شك أنه سيعود إلى العمل قريباً. لقد أعلنت الشركة.

ربما يقول الحقيقة، ولكنها لا تستطيع أن تعرف إن كان كاذباً أو صادقاً. جلست ببطء تنظر إلى حيث جلس باول فالتفت نظرتها الباردة بنظرة الهازئة ساخراً: «امرؤوسف، أكانت المخابرة هامة؟»

- أجل. كنت أريد أن أطلب سيارة نقلني إلى الفندق. وضع دايفيدسون طبقاً كبيراً من الفاكهة المختلفة أمامها: قطعاً أنيقة من البطيخ والبرتقال والغريب قروت، والموز الممزوج بعضير الكرز المثلج.

كانت ربا تنتظر رد فعل باول على ما قالت. - تقدم دايفيدسون ليضع طبقاً مماثلاً أمام باول الذي لم يتكلم حتى غادر دايفيدسون الغرفة.

- أنت لن تذهبي إلى أي مكان ربا. اشتدت يدها حول الشوكة وكأنها تريد أن تضربه بها. كانت تتوقع مثل هذا الرد ولكنها غضبت عندما سمعت رده فصاحت:

- من يقول هذا؟
- ابتسم ساخراً:

- أنا أقول.
وبدا يأكل.

- لا يمكنك منعي. أو تصدق حقاً أنني سأمكنك هنا معك؟
ساعدت حقائبي لأرحل، وأريد سيارة نقلني إلى الفندق.
- لن تحصلني على سيارة. ولن ترحلني بل ستمكثين هنا.
•••

فيما كانت تفتش في عقلها المرتبك عن رد مقنع يجعله يدرك أنه لا يقدر على تنفيذ هذا التهديد البارد، غير باول موضوع الحديث، ليواجهها مرة أخرى:

- ما شعورك تجاه حمل جولي؟ إن حملها سيخرجك من دائرة اهتمامهما.

- سررت عظيم السرور بالخبر.

- ابتسم ساخراً:

- صحيح؟

- بكل تأكيد!

- لا أصدقك فبعد اليوم لن يعود اهتمامهما منصب عليك. وأنت دون شك تتوقعين أن تتغير الأمور منذ الآن فصاعداً، انظري إلى هذه العظلة مثلاً. أما كانا سيرافقتك؟ طبعاً كانا سيمعلان لأنهما اعتادا أن يرافقتك إلى أي مكان أو على الأقل هذا ما كان حتى الآن. ما كانا يتركانك تتحركين قبداً أنملة دونهما، هذا ما فهمته حين تناولت العشاء في منزلهما.

- أنا لن أتباحث معك شؤون زينة وجولي!

رد ببرود خشن:

- سنناقشن ما أريد أن ناقشه أنا!

نظرت إليه بعينين شريرتين كعيني قطة شرسة، ولكن غضبها

- أفهم كيف بدأ الأمر. كنت بحاجة إليهما في البداية. كنت صغيرة جداً فلم يسمحوا لك بالذهاب إلى أي مكان دون حماية.

التي حاجباه الأسودان، ونظر إلى الطاولة مفكراً:

- شاهدت شباناً صغاراً كثيراً يُدمرون. ثمّة سمك مفترس خلف كل صخرة في هذا الميدان. أعتقد أنك كنت محظوظة عندما التقيت برينيه.

- أعرف هذا. كان هو وجولي والعمير معي لذا أنا مدينة لهما بحياتي المهنية كلها.

- وهما مدبتان لك. كنت الماسة غير مصقولة التفتك زينة من الشارع فصقل أطرافك الخشنة قبل أن يضعك في المكان المناسب ولكنه لم يوصلك إلى ما وصلت إليه بنفسه بل وصلت بفعل مساعدك.

- لا تكن سخيفاً!

التوى فمه:

- منحته قوة فائقة، فقد رفعه وجودك معه إلى القمة وكان أن اضطر العاملون في الحقل القني إلى الإصغاء إليه والنظر إليه نظرة جادة. أنت تدركين كم غير وجودك معه من نمط حياته، فلست حمقاء. لقد ضاعقت دخله أضعافاً مضاعفة منذ وجدك.

تمتمت نافذة الصبر.

- أوه. المال. المال. وماذا عن دخلي أنا في السنوات الأخيرة.

قاطعها:

- نعم أفهم قصدك. لقد آتت كل منكما للآخر الريح الوفير. ولكنك لم تعودتي طفلة صغيرة بل أصبحت راشدة لذا أن لك أن

تقطعني الأسلاك التي تربطك بربيه والتي يحركك بها منذ كنت في
السابعة عشرة. أبدني بالسير وحدك ريباً!

- كنت حرة دائماً وإن كان ريبه يدير حياتي فقد حدث ذلك
برضاي. لم يجبرني على فعل شيء قط بل كان ما بيننا شراكة
ولكنني أعرف أنه لا يريد لي إلا أفضل مكانة وأنا أتق به ويجولي
يجب أن أجد الثقة في مكان ما. وإلا لن أكون واثقة أن ما أفعله
صواباً.

رد بخشونة:

- ولكنك تركته يدير حياتك أكثر مما يلزم. فأنت لم تتطوري
التيه بل بقيت ابنة السابعة عشرة.

- لا تعرف عما تتكلم!

- لا أعرف؟

عندما تحرك علمت أنه يوشك أن يقف ليقيم إليها. كان
التهديد قائماً في عينيه، فارتدت إلى الورا وابتكمت في مقعدها
حاسية أنفاسها. ثم فتح دايفدسون الباب، فاسترخى باول
ومسح التوتر عن وجهه وكأنه ساحر. أبعث دايفدسون الأطباق
المتسخة ثم بدأ بتقديم الصنف التالي من الطعام. أكملنا طعامهما
بصمت ودايفدسون يدور حولهما مقدماً ما لذ من أطعمته.
- ما رأيك بالفيلا؟ (سألها).

فقلت إنها جميلة رائعة وهادئة جداً. ثم أردفت:

- ما أروع أن يكون عندك منزل على شاطئ - تسرح فيه وحدك.
قال لها باول إن عليها أن تكون حذرة عندما تسبح وحدها لأن
المذ هنا قوي وخداع، وما أسهل أن يجرها إلى المياه العميقة.

- هذا ما حذرني منه دايفدسون. لماذا اشتريتها من السيد

دالقرز؟

نظرت إليه متعمدة، نظرة حيث وسخرية، فنلقت نظرة ممعنة
- أنا من يعتنا له أصلاً ولكنني عدت فندمت على ذلك لذا
أجبرته على إعادتها لي فكانت من بين الأسهم التي اشتريتها.
- هكذا إذن.

نظرت إلى دايفدسون وهو يربها طبقاً شهيماً من طعام بحري.
- شكراً لك. أريد قطعة واحدة فقط.

قدمها إليها ثم تحرك مبتعداً. إذن كان باول مايسون السيد
الإنكليزي الذي ملك الفيلا فيما مضى. إن دايفدسون لكتوم حقاً
فراقبته يقدم الطعام لباول ثم ينسحب مغلقاً الباب وراءه.

- كنت قد طلبت منه الفيلا قبل لقاتي بك.

ردت وهي تأمل بحواهبها أن تمسح البسمة عن وجهه:

- لو كنت أعلم أنك تملكها، لما جئت إلى هنا أبداً.

قال بيروود:

- كنت أعرف هذا.

- ولماذا لم تخبرني!

مزكته دون أن يرد فأبقت نظرها مثبتاً عليه:

- وهل تتوقع أن أقيم معك هنا الآن؟

دفع طبقه عنه، وتراجع إلى الورا فأحست أنه يرى ما لا يراه
الآخرون، وهذا ما جعلها تدهر، وهو إحساس ما زال يلازمها منذ
التقيا. وقال:

- فلنوضح أمراً! أنا لست هنا لأتبعك بمغازلتني.

ذعرت لأنها مضطرة إلى تصديق قوله المباشر الحاد ولكنها
تذكر أيضاً طريقته عندما يتحجب إليها فكيف تصدق قوله.

فسألته بازدياء:

- هل تستغرب إن لم أصدق كلامك؟

- لو كان ما أريد علاقة عابرة، لحصلت على هذا أينما كان.
فلم يحدث أن وجدت مشكلة في الحصول على امرأة. فحينما يملك
المرء مالاً يحصل على ما يريد. إنها مسألة ثمن، لا غير فلمعظم
الناس ثمن يا ربا، وليس على المرء إلا أن يعرف ما هو ليدفع ثمنه.
كسأ وجهها احمرار مؤلم، فأشاحت بوجهها تبذل الغشيان
المتصاعد إلى حنجرتها، فراقبها لحظات، ثم قال بهدوء:

- لا يعجبك هذا؟

- لا.

كرهت ما سمعت فقي صوته مرارة وهذا غريب، فما الذي
وضع هذه المرارة في نفسه. ألمتها التصورات وطفقت عليها مشاعر
مؤلمة لا توصف ببساطة على أنها الغيرة. لكننا لا نعرف ما هي...
ولا نعرف كيف تصفها. هي تعرف شيئاً واحداً هو أنها لا تريد أن
تصور باول مع امرأة أخرى!

- وماذا عن زوجتك؟

- أحببتها إنما كان ذلك منذ زمن بعيد ربا. أجد أحياناً صعوبة
في تذكر وجهها. كنا شابين صغيرين عندما ماتت. لم أجد ذلك
الشاب الذي أحبها. لقد تغيرت. وتقدمت. ولم يبق لي منها
سوى ذكرى بعيدة.

أصغت إليه وجبينها متغضن عابس:

- ولم تتزوج بعدها؟

هز كتفيه:

- لم أجد امرأة لا أستطيع الاستغناء عنها. لم أكن مستعجلاً
للمخاطرة في الوقوع في الحب. ولهذا أفهم ترددك وخشيتك من
المخاطرة، فقد عرفت أن الحب مؤلم إن فشل ولكن إن نجح يا ربا
فقد يجعل الحياة سحرًا.

ظهر دايفدسون وهو يقول إن القهوة في غرفة الجلوس، فوقف
باول وتقدم إلى ربا ليضع أصابعه تحت مرفقها، فأحست بقلبيها
يخفق بين جنبيها من تأثير لمستة هذه ففضيت من نفسها لذا حالما
تركها سارعت للجلوس على الأريكة، فوقف ينظر إليها وكأنه
يحاول أن يقرأ ما على وجهها.

جلست على حافة الأريكة تصب القهوة لهما. وسألت:

- حليب؟ سكر؟

هز رأسه نقياً، ومد يده. فوضعت الفنجان فيها وأحست بطرف
أصابعه تلامس بشرتها فأسرعت تسحب يدها. تقدم ليجلس إلى
جانبا بعدما وضع الفنجان على الطاولة وسأل:

- الآن وقد أوضحت نواياي. أنحسين بالراحة؟

- ما زلت غير واثقة من نواياك. قلت إنك لا تريد إغوائي. إذن

ماذا تريد مني سيد مايسون؟ وماذا تفعل هنا؟

- قلت لك أكثر من مرة. أريد أن أتعرف إليك، أريد الدخول
إلى أعماقك بحثاً عن حقيقتك. عندما شاهدتك على المسرح تلك
الليلة شاهدت فتاة تحترق من الإثارة. ولكنني منذ تلك الليلة لم
أشاهدها وأريد أن أعرف إذا كانت موجودة خارج المسرح أم أن ما
رأيت كان وهمًا وخيالاً أو خدعة مسرحية تستطيعين بسهولة
الانسحاب منها، أو نسجها حين تغنين.

أحست بجفاف فمها، وارتجفت لأنها شعرت بتوتر يجري في
جسدها كله. وأكمل باول:

- لن اكتشف شيئاً إن شاركتك السكن في هذا المنزل ليلة أو
لياليتين، فأنا أريد ما في أعماقك.

صاحت به بصوت مرتعد:

- أنت تزعجني!

فانست عيناه واحمرتا:

- لماذا؟

عمت قائلة:

- لأنك تطلب الكثير.

ازداد اللعنان في عينه، ولم تفهم لماذا. ما الذي قالته ليشير اهتمامه ورضاه. قال بخشونة:

- أريد كل شيء.. أريدك كذلك.. وإذا كانت تلك النار موجودة في أعماقك أريد أن أسير إلى داخلها لأحترق..

ارتعش الفئجان في يدها، فنظرت إليه وإذا بيده ترتعش.

أجبرت نفسها على رفع الفئجان لترتشف منه القليل. عندما استدار باول ليأخذ فئجانه، فكرت في أنها إلى الآن شاهدت بأم عينها

التهديد الذي سببه وجوده، جسدياً على الأقل، ومع أنها صدقته حين قال إنه لن يقدم على إغوائها ولكن نواياه الحقيقية تثير فيها اضطراباً أشد قوة.. لقد حرست أبواب قلبها منذ مدة طويلة لذا

مجرد التفكير في ما يشكله من تهديد يزعجها.. فهو قاس لا رحمة في قلبه. ولن يكتفي بأقل من الكل، منها، وسوف يثلف أعصابها

مستزفاً من كل ما هو حي فيها.. أحست بالسقم بسبب خوفها من نواياه.

أنهت قهوتها، وضعت الفئجان من يدها ثم وقفت. فوضع باول فئجانه بقوة من يده ووقف ليمسك بذراعها.

- إلى أين نظنين أنك ذاهبة!

- سأوضب حقائبي وأرحل.

اقترب وجهه منها، وقوة إرادته بادية في كل حنايا جسده.

- لقد عيت ما أقول ربا.. سبتقين هنا حتى أجبرك على فهم ما يجري بيننا وعلى فهم ما قد نحصل عليه إن توقفت عن الهرب

كالجبانة.

- لا يمكنك إجباري بالقوة!

- لو أصغيت لي، لما اضطرت إليها.

- أصغيت بما فيه الكفاية. فلماذا لا تحاول الإصغاء إلى نفسك لتري رأيك بنفسك؟ ما كانت ستكون ردة فعلك لو حدثك أحدهم

بهذه الطريقة؟ أنتوقع مني أن أكون سعيدة لأنك تريد أن تكون شيطاناً عاشقاً يبغى ابتلاعي حبة شت أنا هذا أم آبيت؟ أتلومني لأنني أفضل

الهرب ولو سيراً على الأقدام.

تحرك فمه غاضباً:

- أهكذا ترين الأمر؟

نظرت إليه متخوفة:

- أجل.. أشعر أنك لن تدعني أنقذ ذرة من كياني. تحدثت عن تحكيم ربيته بي وبحياتي قاتلاً إنه يعاملني وكأنني طفلة. وأنت ماذا

تريد؟ أليس هذا بالضبط ما تريده؟ لماذا تنهم ربيته بما تريد أن تفعله أنت بنفسك؟

ترك ذراعها ليمسك وجهها بين يديه. كانت راحتاه دافقتين حول وجتبتها وضغطهما قاسياً غير متردد، رفع رأسها إليه لينظر في عينيها

الخضراوين المذهورتين فقال بإيجاز:

- كان يقف في طريقي.. كنت أرى أنهما يعيقان دربي ويقفان حائلاً بيني وبينك.

- أنا من أردت هذا!

- أجل، هذا ما أدركته متأخراً وهو ما أثار تساؤلاً. لماذا.. يا ربا؟ ماذا تخفين خلف الحواجز التي تضعينها كلما اقترب أحدهم

منك؟ هل أنت مشلولة عاطفياً؟ ألا يمكنك التجاوب مع الناس إلا على المستوى السطحي؟

حاولت تجنب نظراته، إلا أنه شدد ضغط يديه على وجهها، حتى كاد يهرها.

- ردي علي!

- ولم أرد؟ لا بحق لك أن تصرّ على السؤال فأنت تعرف عني ما قد يعرفه أي كان.

- هنا يكمن الخطأ فأنا ما بدأت بعد بالتعرف إليك.

رفعت أهدايبها بيضاء، ونظرت إليه وكأنها تتوسل:

- باول.. ألا نستطيع أن نرى أن لا مستقبل لنا معاً؟ ولن نتجح.

التمع وجهه بالنصر، وارتجف فمه.

- أنت تدركين أنك تعترفين بشيء ما.. اليس كذلك! أنت

تقبلين واقع أن هناك «وجوداً» مع أنك تحاولين القول أن لا مستقبل

له. ومهما حاولت الإنكار، تعرفين أن هناك شيئاً قوياً بيننا وهذا

الشيء كان موجوداً منذ البداية. لم أكن أحس به وحدي، ولكنك ما

أن نظرت إلي نظرة واحدة حتى رحمت تهريين، ولا شك في أن هناك

سبباً قوياً لذعرك هذا. أنت تخافين مما تشعرين به لكنك أحسنت

به.

أحسنت برجفة تخترق أعماقها، بمشاعر ملحة شعرت بها منذ

وقعت عينها عليه وهي منذ ذلك الحين تكافح ضدها ولكن عقلها

كان عاجزاً عن إسكاتها. ارتجفت شفتاها وعلمت أن جفنيها يطبقان

فوق عينها، وأن جسدها يرتجف.. قاومت مشاعرها ولكنها فقدت

القوة، وها هي الجبال التي تشل إرادتها تجرّها إلى مد مندفع من

المشاعر الحارقة.

ترنح جسمهما معاً. والنفت بداها بطريقة لا شعورية حول

عنقه حيث أسكت شعره الأسود الكثيف، وجذبه إليها. فرقع رأسه

قليلاً، وعيناه نصف مغمضتين، وكيانه كله يرتجف إزاء جسمها.

كان تفكيرها قد شلّ كلياً وكانت تتعلق به تعلقاً شديداً. وها الحب

قد جعل عينها الخضراوين تتوهجان وتومضان. وتتم: وهذه هي

البداية. أنت تشعلين النار بي.. تجعليني أرغب في الانطلاق

والاشتعال بلهبك حتى لا يبقى مني إلا الرماد. ألا تعلمين أن هذا ما

تفعلينه لي؟ أو ما يفعله أحدنا بالآخر؟

أخضقت رأسها بوهن حتى استقر جبينها على صدره. فمد يده

يرت مؤخرة عنقها حيث يتدلى شعرها الناري اللماع.. حرك فمه

خصلة حريرية منه، وهمس وكأنه يتأوه:

- حبيتي!

فتمتم:

- لا أستطيع.

- بلى!

- لكن عائلتك لن تقبلني.. ولا أستطيع أن أصبح زوجتك

باول.. وأرفض أن أكون خليلتك.. ولا أريد أن يكون لي قطعاً

صغيرة منك، حين تتاح لك الفرصة.

رفع رأسها بيديه القويتين ينظر إلى عينها بحثان:

- ريبا.. الآن نحن نتكلم باللغة ذاتها، فأنا كذلك لا أريد قطعاً

صغيرة منك ريبا.. ألم أقل هذا مراراً. قلت إنني أريد التزاماً

كاملاً.. أريد كل شيء فيك. أما عائلتي فلن تتزوجي بها بل

ستزوجيني أنا.. ولكن لماذا بحق الله لن يقبلوا بك؟

- أنا نكرة أنا فتاة مجهولة.. من لا مكان. لا أعرف عن نفسي

إلا أن والدي ربما كانا مجرمين أو وحشين. من يعلم من أي نوع من

النساء أتيت؟

- هل حاولت مرة أن تعرفني؟

- لا.. ولا أريد أن أعرف.

- ولم لا؟

- لأنني أفضل عدم المعرفة!

- لماذا؟

لم يشأ أن يتركها تصرف النظر عن الموضوع بسهولة، لذا بقيت عيناه على وجهها تراقبها بامعان. لم ترغب في أن ينظر إليها وكأنه يحاول اختراق ذاتها وأعماقها فهذا ما تريد تجنبه إنها تجنب الناس لكلا يعرفوا عنها شيئاً، فقي عقلها فراغ مظلم قائم ملؤه الألم الدفين عميقاً. إنها تحاول نسيان ذلك الألم ما وسعها إلى ذلك سبيلاً، وهي تأبى أن يخرج هذا الظلام إلى النور حيث يراه باول. قالت:

- كائناتنا من يكون ذلك الذي تخلى عني، فهو شخص لا أريد أن أعرفه.

- تكرهين والديك؟

- وماذا تتوقع؟ إن ما فعلناه بشير الاحتقار لذا هما لا يستحقان إلا الاحتقار الذي لن يكون لهما عندي سواء.

ظهر الألم الدفين منذ زمن بعيد في صوتها، فلف باول ذراعيه حولها وضمها إليه بقوة. بدون أن يطالبها بشيء كان يقدم إليها باحتضانها بهذه الطريقة الاملتتان كله. سألتها بلطف:

- لكن هذا غير صحيح. أليس كذلك؟

- ماذا تعني؟

لم تكن قد استسلمت بعد لعناقه الحار، فتشنجت بين ذراعيه سجيبة داخل نفسها، سجيبة الألم الذي تحاول إنكاره.

- لو كان كل ما تكتبه لهما هو الازدراء واللامبالاة لما لاحقتك الذكرى هكذا. ولأنك تهتمين للأمر كثيراً تعجزين عن الاستسلام لأي إنسان آخر، فأنت تخشين أن تتألمي إن هُجرت مرة أخرى.

قالت بخشونة:

- بل قل إن رُميت كالتضايبات في الشوارع تحت المطر.. لماذا تنطق الأمر بكلمات لطيفة؟ إن الجميع قد يتخلى عنك في النهاية لذا لا يمكن لي الثقة بأحد.

عندما تهذج صوتها تحركت يدها على ظهرها يظمنها ويواسيها. سألتها بلطف: «حتى ربيته وجولي؟»

- حتى هما.

وصمت. فسألتها:

- أترفضين الطفل؟

ردت:

- لا.. بالطبع لا.. أنا سعيدة لهما.. لكن..

- ولكن هذا بعيد إلى قلبك البرودة مرة أخرى.

فتنهدت تنهيدة عميقة:

- أنا لست أنانية إلى هذه الدرجة، فلن أرفض طفلاً سيجلب السعادة لهما.

- كوني صادقة مع نفسك وأخبريني ما الذي تفتشين عنه حقاً. غير الحب؟ الحب الذي لم تعرفيه قط من والديك أو من غيرهما، إنه ما نبحث عنه جميعاً.. ألا تدرين هذا؟ الكائن البشري بحاجة للحب كما حاجته الأوكسجين.. إنه الحاجة الأساسية للحياة. لقد حرمت من العاطفة منذ مولدك.. ولم تتعلمي قط كيف تُحبيني لكتني سأعلمك.. فالمشاعر موجودة فيك وأنا بحاجة إلى كل ذرة منها كحاجتك إلى الحب الذي أقدر أن أهبه لك.

نظرت إليه ودموعها تحرق لحاظ عينيها وأهدابها ترمش بسرعة. صاحت كالطفلة:

- لا أرجوك كفى! أنت تخيفني حتى الموت!

ابتسم:

- أمر عظيم .. هذا يعني أنني بدأت أؤثر فيك وأنتي لا أنكلم فقط مع نفسي .. أنت تصفين إلي، وتتجاوبين، مهما حاولت جاهدة العكس.

- وماذا تتوقع مني؟

- ما سأعطيك إياه فقط .. الحب .. تلك النار التي تركتها دفينة في نفسك طويلاً يا حبيبي .. هذا ما أريده منك! أعلم أنك حذرة وحساسة وصعبة المراس .. ولكنني مستعد لحصار طويل وأعدك أن أصل في النهاية، إنما لبتك تتوقفين فقط عن النظر إلى الماضي الذي لا يمكنك رؤيته وبدء بالتطلع إلى الأمام إلى المستقبل الذي يمكنك أن تنشأطره.

- ألا يزعجك ألا تعرف أبدأ نوع الدم الذي يجري في عروقي؟

- لا .. فاقه وحده يعرف النوع الذي يجري في عروقي أنا .. لا أعرف عن عائلتي إلا تاريخاً لا يتعدى بضعة أجيال أما قبل ذلك فأجهل كل شيء .. ولربما انحدرت من سلالة قراصنة أو مجرمين من بدري؟

تأرجحت بين الضحك واليكاء:

- لن يدهشني ذلك.

لمعت عيناه فرحاً:

- بصراحة، ولا أنا .. فلوالدي ميول القراصنة في بعض الأوقات .. ولكن إن كان هذا يقلقك حقاً، يمكننا أن نجد شيئاً عن ماضيك .. فأنا أشك في أن يكون أحد قد اهتم بالبحث عن والدك وأنا واثق أنني أستطيع أن أجد شيئاً .. بإمكاننا إطلاق مجموعة من المخبرين.

أحست بشيء من الضيق يقبض على صدرها .. فترددت، وبعد انتظار أكمل:

- الأمر عائد لك تماماً حبيبي .. أنا لا أهتم لنفسي .. إذا كان هذا سيربح نفسك فلماذا لا نفعله؟

أغمضت عينها مفكرة .. وحين فطحتهما، التفت بعينيه:

- لا .. لا أريد أن أعرف.

قال بلطف:

- أظنك حكيمة لاتخاذك هذا القرار إذ يصعب بعد مضي هذا الزمن كله أن تجدني ما تقوليه لأي منهما .. إنها غلبة ألفاظ خطيرة، فلا تفتحها ربا .. وإن استطعت دفع الذكرى بعيداً تمكنت من العيش خارج الملاهي .. واستطعت مواجهة نفسك ومواجهة العالم! نظرت ربا إليه فرأت تقاسمه الوسيمة وعينيه الرماديتين القاسيتين وقمه القوي كما رأت عجرفته التي تبعث الثقة إلى النفس والتي لم تخسر يوماً معركة .. قالت:

- أنت تخيفني سيد مايسون، عرفت منذ رأيتك أنك كالجرافة.

لا يقف في وجهك شيء، أنت تحطم كل معارضة وتمر فوقها.

التوى قمه مرتعشاً وقال ببرود:

- أنا رجل يعرف ما يريد حين يقع نظره عليه.

- أجل.

- ويحصل عليه.

ف نظرت إليه بقلق.

- سترى في هذا الأمر!

فاتسم يداعب وجهها بإحدى يديه:

- هل أتيت إلى هنا وأنت تنوين الخروج من قوقعتك ربا؟

قطبت:

- ماذا تعني؟

- أعني وبكي .. قال إنك تتعلمين السبيل إلى المرح، هل كنت

ضحكت:

- لا .. لربكي فنانه في الصدق .. أما عندما رأيته فكان يزورني لينقل إلي رسالة من ربيته .
- لماذا أعطاني انطباعاً بأن هناك شيئاً بينكما؟ أكتما تحاولان إبعادي؟

- شيء من هذا القبيل .

- وهل تظنين أن من السهل إحباط عزمي؟

- أنت استنحت ما تريد فلم أزمياً للإنتكار .

ففرس بها ورأسه إلى جانبه .

- لن تسهلي عليّ الأمور .. أليس كذلك؟

ابتسمت:

- لا .

تأكدت أنها شاهدت نظرة رضى على وجهه . باول معناد على الأمور السهلة طوال حياته .. ما كان عليه على الدوام سوى أن يمد يده ليقع ما يريد في راحته . لكن ربا لا تريد أن تقع في يده كحبة غوخ ناضجة ، فهي إلى الآن غير مستعدة للثقة بنوابه أو بنوابها . لقد انتزع ذلك الاعتراف الذي يريده منها ولكن أمامه الكثير بعد ، فهو يريد منها أكثر مما هي مستعدة لإعطائه في الوقت الحاضر .. انه يريد أن يتعلمها ، يستهلكها ويمتلكها روحاً وجسداً . نظرت إلى عينيه المصممتين فذعرت مما رآته فيهما من مطالب .. سمعته يقول بعدوبة:

- لن أسلم قبيل أن أحصل عليك بالكامل .

- شكراً للإنتذار .

دس ذراعاه حولها ثانية ثم مرر الأخرى بحركتها يبطه على

ظهرها إلى أن شهقت وارتجفت ودفعته بعيداً:

- توقف عن هذا!

رد بخسونة:

- أمامك الكثير لتتعلميه وأنا من سأعلمك . هذا ما قلته لك منذ البداية . ولن أقول لك وداعاً أبداً .. منذ أن وقع بصري عليك عرفت أنك لي .. عرفت أنك التي أنتظرها . اعلمي أنه لن يفرقنا أحد أبداً ، ولن أتركك ولو توصلت إلي جانية لأنني لن أستطيع فقد تجاوزت نقطة التراجع وإن تركتني الآن تركتني نصف حي .

نظرت إلى عينيه الرماديتين اللتين اشتد اسودادهما فعصف قلبها نابضاً وارتجفت أوصالها شوقاً إليه ولكنها قالت:

- لا تستعجل .. لا تدفمني .. أمهلني بعض الوقت لأن ما يحدث أعظم من أن أحتمله .

عانقها بجنون ، وأرجع ضغطه عليها رأسها إلى الوراء مما جعل عنقها تؤلمها ، فأمسكت بكتفيه تستند نفسها ، وأعطته الرد بوهن لكن الاستجابة في داخلها كانت تتعاطم مغلبة ذلك الجوع العاطفي القديم إلى الحب .

قال بصوت أجش:

- وهذا ما سيحصل .

نظر إليها باكتفاء ورضى ، فبادلته نظره ولم تعد تستطيع إنكار حبها له بعد الآن . فقد انفتح ثغرها لترفض لكنه بقي مفتوحاً وصامتاً ..

ابتسم باول ، ابتسامة سريعة وقال مؤكداً على حبه للمتملك:

- قلولي نعم ..

